

بيت الله الحرام

للأستاذ أحمد محمد شمس الدين

الجمهورية العربية المتحدة
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة التعريف بالإسلام

بيت الله الحرام

للأستاذ أحمد محمد شمس الدين

يشرف على إصدارها
محمد توفيق عويضة

الكتاب
الثاني والأربعون

القاهرة
١٣٨٨هـ - ١٩٦٨ م

تقديم

سيدى يارسول الله :

أحمد الله تعالى الذى بعثك بالحق شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، وأصلى وأسلم عليك صلاة سبقنى بها عليك الحق سبحـانه وملائكته وسلموا عليك تسليما ، وأصلى واسـلم عى آل بيتك الأطهار وصحابتك الأبرار وتابعيك الأخيار صلاة دائمة باحسـان الى يوم الدين .

سيدى يارسول الله :

لقد حملك الله تعالى رسالة السماء ــ رسالة النور ــ رسالة الحق ــ رسالة الاسلام ــ واختصك بحمل هذه الرسالة العظمى التى اختتمت بهـا سائر رسالات السماء فكنت خاتم الأنبيـاء والمرسلين . وأنزل عليك القرآن هدى ورحمة للعالمين . دستورا سماويا جمع فأوعى ولم يفرط ربك فىالكتاب من شىء ، والحج فريضة فرضها الله جل شأنه على عباده فى العام التاسع من الهجرة الشريفة وقمت ياسيدى يارسول الله بأداء هـذه الفريضة فى العـام العاشر من الهجرة وكانت حجة الوداع وفيها أنزل الله عليك قوله الـكريم «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكمالاسلام دينا»

سيدى يارسول الله :

هذا كتاب عن « بيت الله الحرام » ضمنته جزأين الأول عن تاريخ مكة المكرمة من قبل خلق آدم عليه السلام حتى اليوم ، وتشريف مكة ببيت الله العتيق ورفع القواعد من البيت ودين ابراهيم الحنيف وما دخل على مكة من أديان أخرى وظلمة الجاهلية التى بلغت ذروتها حينما مهد رب العزة باخراج تلك البقعة المقدسة من الظلمات الى النور بمولدك فى عام الفيل فكان طالع اليمن والاسعاد لا على مكة فحسب بل على العالمين الى يوم الدين ويتضمن هـذا الجزء مولدك ، ونشأتك ورسـالتك ، وهجرتك ، وفتح مكة وعمرة القضاء وحجة الوداع وماورد فى هذا الجزء من آيات وأحاديث ومناسك .
والجزء الثانى يتضمن الحج وأركانه وشروعه وواجباته وسننه وما ورد من آيات وأحاديث وآراء الفقهاء وكل ما يتعلق بالمناسـك الشرعية والأدعية المأثورة والأعمال الواجب عملها والمزارات وينتهى بزيارة قبرك الطاهر الكريم ونقف أمامك خاشعين ذاكرين جهادك من أجل الدين حتى أتممت الرسالة وأكمل الله على يديك الدين الذى ارتضاه للمخلصين من عباده .. أجل دين الاسلام حنيفا ..

سيدى يارسول الله :

ها هو مؤلفى المتواضع أهديه الى روحك الطاهرة سـائلا المولى عز وجل أن يجزيك عنا وعن أمتك أحسن ما جزى به أحدا من أنبيائه ورسله ، اللهم آت نبينا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه مقاما محمودا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد .

والله الموفق لما يحبه ويرضاه .

المؤلف

الفصل الأول

مكة المكرمة

مكة المكرمة التى كرمها الله سبحانه وتعالى بأن جعلها أرضاً طيبة مباركة . بها بيت الله المعمور – أجل بيت الله المعظم – إنه الكعبة المشرفة – شرفها الله عز وجل بأن جعلها قبلة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ولنرجع إلى الوراء لنلقى نظرة على هذه المدينة التى أصبحت القلوب المؤمنة تهفوا إليها ويتسابق المسلمون فى الوصول إليها للطواف ببيت الله الحرام – ولما اختص الله سبحانه هذه البقعة من الأرض بهذا التشريف ؟ – ومن ذا الذى شرفه الله بتعمير هذه الأرض الطيبة ؟ . . .

لقد كتب الكتاب والمفسرون ونسجت القصص من الخيال وزيف التاريخ فى بعض المواضع وحرفت التوراة فأخفت معالم الحقيقة الكاملة حول بيت الله المعمور ولكن القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة أزالت هذا اللبس والغموض ووصفت الحقيقة جلية أمام أعين الناس ... تلك الحقيقة التى لا يتطرق الشك إليها لأن المراجع التاريخية وسيرة العرب في الماضى قد دونت قصة اهتزت لها قادة آسيا فى القديم . حينما وفق الله تعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى دعوة الناس إلى عبادة الله عز وجل وإلى نبذ الأصنام والأوثان التى اتخذوا منها آلهة لا تضر ولا تنفع ... وأخذ إبراهيم عليه السلام يفكر فى بناء بيت يعبد الله فيه ويذكر اسمه

أن هداه بفطرته إلى عبادة الرحمن بالرغم من وثنية أهله وعشيرته - ويقلب إبراهيم عليه السلام وجهه فى السماء عساه يجد ما يشفى غاته ويحقق له أمله ... وما هى إلا لحظة من لحظات الرضا . لحظات تجلى فيها رب العزة على خليله ونبيه وعبده إبراهيم ... أن قد حان الوقت لتؤدى مهام نبوتك ورسالتك ... وأن حان الوقت ليعرف خلقى حقى عليهم ... فيذكروا اسمى فى مكان معمور هو بيتى فى الأرض . . . بيت الله المعمور الذى بنته ملائكة السماء فى خط عمودى لعرش الله عز وجل ليطوف الخلق به كما تطوف الملائكة فى السماء ويخرج الركب الذى يضم ابراهيم عليه السلام وبصحبته زوجته الحبيبة هاجر والرضيع إسماعيل الذى وهبه الله لإبراهيم على الكبر فأعاد له الشباب من الفرح والسرور وقرت عينه بهذا المولود السعيد الذى سيحمل اسم إبراهيم على مدى السنين والأيام ... لقد خرج هذا الركب يضرب فى الأرض على غير هدى لأن ابراهيم نفسه لم يكن يعرف وجهته بل مأمور بالسير والله سيرشده إلى طريق السداد ، وسار هذا الركب فى الصحراء جنوباً وما أن وصل إلى جبل أبى قبيس حتى نظر من أعلاه فوجد واد محاط بالجبال من جميع الجهات ... واد لا زرع فيه ولا ماء ولا حياة ... ولكن هناك وفى هذا المكان يرى إبراهيم ما لا يراه أحد فقد آنس فيه الوحدة والأمن والسلام والطمأنينة إلى الإقامة فى هذا المكان ولم يكن الوادى مظلماً لأن هناك نورا كان يشع فيملأ الدنيا ضياء.

وأمر إبراهيم بوحى من عند الله الرحمن الرحيم أن أنزل بهذا الوادى وانظر إلى هذه الربوة التى تتوسطه فإنها البيت الذى كنت تتوق إليه

وتتمنى رؤياه . . . إنه بيت الله الحرام . . . لقوله عز من قائل « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين » . . .

صدق الله العظيم

ويضرب إبراهيم عليه السلام خيمته بجوار هذه الربوة النورانية التى آنس إليها ليذكر عندها اسم الله سبحانه وتعالى وأقام مع هاجر وابنه إسماعيل ما شاء الله له أن يمكث ويأمر إبراهيم وحى من رب العزة أن اترك هاجر ورضيعها فى هذا المكان وعد من حيث أتيت حتى يأتيك الأمر السماوى من لدن عزيز حكيم بما سيكون من أمرهم فى الغد . . . ويهب إبراهيم عليه السلام ليودع زوجته هاجر بعد أن ترك عندها ما تبقى من الطعام والماء وهو لا يكفيها أياما . . . وتخشى هاجر على نفسها وعلى ابنها إسماعيل وتجرى خلف إبراهيم عليه السلام . . . منادية . . . له يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا فى هذا المكان الذى ليس فيه أنيس ولا حياة ولا ماء ولا طعام ؟ ؟ ؟

ويستمر إبراهيم فى سيره لا ينظر إليها ودموعه تبلل لحيته على هذا الفراق . . . ولكن هذا أمر محتوم . وإن ترك هاجر فإن الله تعالى لن يتركها وإن ترك لها إسماعيل فإن الله تعالى راعيه . . . وفى قوة من الإيمان وبنبرات كلها قوة واطمئنان تعود هاجر إلى مكان إسماعيل بعد أن تلقى على إبراهيم تحية الوداع وهى تقول : إذا كان هذا أمر من الله ! ! فإن الله لا يضيعنا ! ! ويقف إبراهيم عليه السلام خلف جبل أبى قبيس ويخر ساجدا على الأرض فى مقابلة البيت المعمور ويدعو قائلا : « ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

وتجلس هاجر هادئة راضية بقضاء الله وإسماعيل يؤنس وحشتها وهو يرضع فى حجرها . وتنظر هاجر إلى تلك الربوة العالية وكأن الالهام بالأمن والسلام يأتيها من تلك الربوة ... ثم تتلفت ناحية الجبال المحيطة وترفع بصرها إلى السماء ... شاكرة حامدة لله على نعمائه وأفضاله عليها أن من عليها بإسماعيل الذى آنس وحدتها فى هذا المكان المهجور ، ويبكى إسماعيل ويشير إلى جراب الماء وتسرع هاجر لتسقيه ويسقط الجراب من يدها ... يسقط والدموع تسيل على وجنتيها ... لقد نفذ الماء ... ويشتد العطش بإسماعيل فيشير إلى الجراب ويزداد البكاء . وتهرول هاجر فى الوادى باحثة عن الماء ويتمثل لها السراب أنه الماء فتجرى ولا تجد إلا السراب وتقف هاجر فوق جبل الصفا عساها تجد رياً لهذا الطفل وتعاود الهرولة إلى جبل المروة وتكرر الهرولة المرة تلو المرة حتى بلغت سبعة أشواط وأخذ منها التعب ما أخذ وتهالكت وكادت تقع مغشياً عليها ... وتفيق من غشيتها على مادار بينها وبين إبراهيم من حوار وتتذكر قولها : إن كان هذا أمر من عند الله فإن الله لن يضيعنا ؛ فتعود هادئة البال مرتاحة الضمير إلى حيث تركت إبنها إسماعيل فإذا بالماء قد انبثق تحت قدمى إسماعيل فهرولت وأخذت حفنة من الماء وهى لا تصدق عينها وتربت على الرمال وتقول «زمى – زمى» وسميت زمزم نسبة لما قالته هاجر رضى الله عنها وأرضاها ...

زمزم !! والحياة بمكة :

إحتضنت هاجر إبنها إسماعيل وارتوت من تلك العين المباركة التى انبعثت تحت قدمى إسماعيل وعادت الطمأنينة تسيطر على المكان وحامت

الطيور حول الماء وترى قبيلة جرهم التى كانت تعيش فى خيامها قريباً من هذا المكان ! رأت الطيور تحوم حول هذا الوادى ... وأرسلت من يستطلع الخبر فإن الطيور لا تحوم إلا حول مكان به ماء ... ووفدوا على هاجر وأذنت لهم فى الشرب من الماء واستسمحوها فى النزول مع قبيلتهم فى هذا المكان فرحبت هاجر بهؤلاء القوم حتى يعمروا هذا المكان ودبت الحياة بمكة بعد أن كانت صحراء جرداء لا حياة فيها ونبتت الأشجار حول البئر وغشى الكلأ المكان وكثرت الغنم والإبل ووجدت هاجر نفسها بين أفراد قبيلة جرهم صاحبة السطوة والسلطان وهى صاحبة السقاية فيهم والكل يجلونها ويكْبرُونها وإسماعيل يلهو ويلعب مع صبيان جرهم حتى إذا ما شب وبلغ مبلغ الشباب تزوج إسماعيل من فتاة طيبة من فتيات هذه القبيلة ... وفرحت هاجر بابنها وتمنت أن يأتى إبراهيم عليه السلام ليرى ما آل إليه أمرهم وقد شملتهم عناية وبركة السماء وتحقق ما قالته لزوجها . . إن الله لا يضيعنا !! وتاقت نفس هاجر لرؤية زوجها إبراهيم عليه السلام ولم يكن إسماعيل قد عرف أباه إذ تركه وهو طفل رضيع ونظرت هاجر إلى السماء ... وتحققت آمال هاجر حينما رأت إبراهيم عليه السلام يقف فوق جبل ابى قبيس وينظر إلى الوادى الذى تركه بالأمس صحراء جرداء لا حياة فيها ولا ماء ولا نبات وقد تحول إلى جنة فيحاء تدب فيها الحياة بكل صورة من صورها فخر ساجدا لله تعالى وهو يدعو « رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبنى وبَنِىَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ » ... ويتقدم إبراهيم ليلتقى بهاجر وإسماعيل بعد غياب طويل ويحتضن إسماعيل وهو يقول : « الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعِيلَ وإسحَاقَ . إنَّ رَبِّى لَسَمِيع الدعاء » : ويمكث إبراهيم فى بيت إسماعيل هادئ البال قرير العين مرتاح

الفؤاد لا هم له إلا ذكر الله والصلاة ومن خلفه هاجر وإسماعيل ومن تبعه على دينه من أفراد قبيلة جرهم ... ويقلب إبراهيم وجهه في السماء مستلهماً الوحى ... أجل إنه الوحى حقاً ! ! فيقوم إبراهيم ويضع يده على إسماعيل ويهمس فى أذنه بقوله تعالى : « وَإِذْ يَرْفَع إِبْرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ وإِسْمَاعِيلُ ، ربَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ، رَبَّنَا واجعلنا مسلِمَين لك ومن ذريتنا أُمة مسلمة لك ، وأَرِنَا مناسِكَنَا وتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَوَّابُ الرَّحِيم ، رَبَّنَا وابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهم يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ويُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والْحِكْمَةَ ويُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الْحَكِيم » . «سورة البقرة» . .

وأقبل إبراهيم وإسماعيل نحو الربوة التى اطمأن إليها بالأمس وترك عندها إبنه إسماعيل رضيعاً والتى عرف أنها بيت الله المعمور لقوله فى دعائه لله : «رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيتى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ المحَرَّم » . إذن هو بيت الله المعمور ولكن ما هى حدوده وما هى مساحته وكيف أرفع القواعد من البيت ؟ وإذا بالوحى يبوىء له مكان البيت أن هنا يا إبراهيم فارفع القواعد منه وليساعدك إسماعيل . وفى هذا يقول الله تعالى فى كتابه العزيز «وإِذْ بوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِى شَيْئًا وطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّائِفِينَ والقَائِمِينَ والرُّكَّعِ السجود» «سورة الحج»

ويرتفع البناء ويخر إبراهيم ساجدا لله وخلفه إسماعيل وهاجر وجمع غفير ممن آمن به من أفراد قبيلة جرهم ويرفع رأسه ليسمع الوحى من عند الله « وأَذِّنْ فى النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رجَالًا وَعَلى كُلِّ ضَامر يأْتِينَ مِنْ كلِّ فَجٍّ عَميق » ويقف إبراهيم وخلفه الجموع الحاشدة ويلبى أن : لبيك

اللهم لبيك ، لبيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لبيْك ، إنَّ الحَمْدَ والنِعْمةَ ، لكَ والملك ، لَا شَريكَ لكَ » ويردد الناس من خلفه هذه التلبية ... أن لبيك اللهم لبيك ؟

كيف حج ابراهيم عليه السلام :

وقف إبراهيم عليه السلام يلبي ويردد المسلمون التلبية خلفه حتى استلم البيت وجعل باب الكعبة أمامه وزمزم عن يساره وأشار إلى الحجر الأسود وأعلن نية الطواف سبعة أشواط لله تعالى وطاف بالبيت وانتهى من طوافه عند الحجر الأسود ثم صعد إلى جبل الصفا وأعلن نية السعى سبعة أشواط وهلل وكبر ومن خلفه الحجاج الذين كان لهم السبق الأول فى أداء هذه الفريضة وراء خليل الله إبراهيم عليه السلام . وتم السعى لابراهيم ونظر إلى زوجته هاجر وقال لها إن سعيك يوم عطش إسماعيل جعله الله من شعائره لقوله تعالى « إنَّ الصَّفَا والمرْوةَ مِنْ شَعَائِر اللهِ فَمَنْ حجَّ الْبَيْتَ أَو اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّف بِهِمَا ومَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فإنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ » سورة البقرة .

وفى اليوم الثامن من ذى الحجة خرج إبراهيم عليه السلام ومعه حجاج الله قاصدًا منى فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء وفجر اليوم التاسع ثم اتجه إلى عرفات فوقف بها إلى مابعد غروب اليوم التاسع وأفاض منها إلى المزدلفة حيث بات ليلته وبعد الفجر قصد منى للإقامة بها إلى أن يأمره الله بإتمام المناسك ... ويهب إبراهيم عليه السلام من نومه ويربت على كتف إسماعيل ويسر فى أذنه بكلمات ... وينطلقا سوياً إلى مكان قريب من جبل ثبير بمنى وأفصح إبراهيم ولده برؤياه وقال : يا بنَيَّ إِنِّ أَرَى فى المَنَام ِ أَنِّ أَذْبَحُكَ فانْظُرْ مَاذَا تَرَى ؟

ويقول إسماعيل : (يا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنى إنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) . ويعترض الشيطان طريق إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام محاولا أن يثنيهما عن تحقيق الرؤيا ويرفع إبراهيم بصره إلى السماء ويمسك بسبع حصيات ويرجم إبليس فيذهب إبليس عنه فلما وسوس لإسماعيل رجمه بسبعة أخرى ويئس إبليس من إبراهيم وإسماعيل فوسوس لهاجر فرجمه إبراهيم بسبع حصيات أخرى فذهب فى المرة الثالثة ولم يعد ... واستعد إبراهيم لتنفيذ أمر الله واستسلم إسماعيل لقضائه وصبرت هاجر على هذا البلاء وتلت قوله تعالى . . «وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنَّا إليهِ راجِعُونَ » . « فلَمَّا أَسْلَمَا وتلَّه للْجَبِينِ ونَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إبراهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إنَّا كَذَلِكَ نَجْزى المحْسِنِينَ ... إنَّ هذَا لهو البلاءُ المُبِين ، وفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عظيمٍ » ..!! «سورة الصافات » .

ويرجع إبراهيم وإسماعيل وهاجر ومن معهم إلى الكعبة طائفين ساجدين شاكرين لله نعمائه : «رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إنَّكَ أَنْتَ السمِيع العليم » .

واستخلف إبراهيم عليه السلام ابنه إسماعيل على البيت المعظم وتركه ليعلم الناس ويعلمهم شئون دينهم ودين إبراهيم عليه السلام . .فرأى إسماعيل أن يقيم حدودا لمكة على ضوء المناسك التى شاهدها مع أبيه إبراهيم فى أوّل حج أمر إبراهيم أن يؤذن به فى الناس ... وأراد إسماعيل أن يحدد مواقع الحلال ومواقع الحرام وكان إسماعيل على علم بالقراءة والحساب والفلك . وحد الحرم من جهة الطائف على طريق من بطن نمرة ، وحده من جهة العراق ، وحده من جهة الجعرانة ، وحده من جهة جدة ،

وحده من طريق التنعيم ، وحده من طريق اليمن ، وكانت المسافات بين هذه الحدود والحرم تتراوح بين ستة أميال وثمانية عشر ميلا ووضع عند هذه الحدود علامات وكان هذا هو الحرم أى حدود مكة . إذ قيل أن مكة كلها حرم ويمكث إسماعيل بعد ذلك يعلم الناس دين الله ، ويعلمهم الكتابة لينسخوا صحف إبراهيم . . . وظل يجاهد من أجل دينه حتى ماتت أمه هاجر فدفنها فى الحجر ولما مات إسماعيل دفنه بنوه بجوارها فى الحجر وهما قبران لهما علامتان خضراوتان ظاهرتان بالحجر ما بين الركن العراقى والركن الشامى . وتحديدا تحت الميزاب .

الفصل الثانى

الكعبة المشرفة

« وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ، وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ . وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » (سورة البقرة) .

« إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ، وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ »
(سورة آل عمران)

الكعبة المشرفة :

إنه اسم كريم محبب إلى كل قلب مؤمن تتوق إليه النفوس لتسعد بالطواف حولها لأن هذا الاسم هو إسم بيت الله المعمور ، أول بيت وضع فوق سطح الأرض بنته الملائكة قبل خلق آدم عليه السلام ليكون مكاناً مقدساً يحج إليه الناس من كل فج عميق ليذكروا الله جل شأنه ويخروا ساجدين شاكرين نعمائه عليهم أن هداهم بهديه فاهتدوا وآمنوا بوحدانيته سبحانه وتعالى لقوله الكريم « إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ » .

أى أنه أول بيت بنى على سطح الأرض قبل خلق سيدنا آدم عليه

السلام وقبل هبوطه إلى الأرض لقوله تعالى « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً » وهذا الخطاب من رب العزة موجه إلى ملائكته لما كان فى علمه القديم من أن آدم عليه السلام لن يمكث بالجنة طويلا بل لا بد من هبوطه إلى الأرض ليعمرها بذريته من بنى آدم ويتحقق الغرض الأسمى فى هذا الهبوط من الجنة وهو معرفة الخلق للخالق الأعظم وتقديسه وطاعته فى كل ما أمر به من شرائع سماوية كانت نبوات ورسالات لبنى البشر . وضمن هذه العبادات والطاعات فريضة الحج التى فرضها الله تعالى على المسلمين لقوله تعالى «وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ » أى شريعةً للناس .

ولقد ظل هذا البيت المعمور فى تلك البقعة من الأرض المباركة بصحراء مكة محاطاً بالجبال من كل جانب إلى أن حان الوقت المعلوم لتعمير هذه البقعة الطيبة لتكون مثابة للناس تهفو إليه القلوب من كل فج عميق . وكان ذلك على يد أبى الأنبياء خليل الله سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقوله عز من قائل : « وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بى شيئاً » وفى هذا المقام مقام المعرفة وبعد أن بوأ الله سبحانه لإبراهيم مكان البيت وترك ابنه اسماعيل عليه السلام رضيعاً مع أمه هاجر فى هذا المكان الذى لا زرع فيه ولا حياة نجد نبىّ الله سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام يقف خلف الجبال التى تحيط بهذا البيت المعمور ويدعو ربه «رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ . رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهوى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ » وتمر الأيام سراعاً ويشب إسماعيلُ ويبلغ مبلغ الرجال وتنتقل

هاجر إلى الرفيق الأعلى ويعود سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ليحقق قول الله تعالى : « وإذْ يَرْفَعُ إبْرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ وَإسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إنَّكَ أنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ، رَبَّنَا واجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وأرِنَا مَنَاسِكَنَا ، وتُبْ عَلَيْنَا إنَّكَ أنْتَ التَوَّابُ الرَّحِيمُ » (سورة البقرة) .

وها هو سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام بمعاونة ابنه إسماعيل عليه السلام يقيمان قواعد البيت في المكان الذى بنته فيه الملائكة فى خط عمودى تحت العرش وترتفع القواعد ليطوف بالبيت إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كما تطوف الملائكة بالعرش . وتمر الأيام وتهفو القلوب لهذا البيت المعظم لقوله تعالى «وأَذِّنْ فى النَّاسِ بِالحَجِّ يأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عميقٍ ليشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ الله فى أيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بهيمةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الفَقِير ، ثُمَّ لِيَقْضُوا تفثَهُمْ وليُوفُوا نُذُورَهُمْ وليَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ العَتِيقِ » (سورة الحج).

تاريخ بناء الكعبة المشرفة :

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كان البيت قبل هبوط آدم صلى الله عليه وسلم ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر ، باب شرقى ، وباب غربى وفيه قناديل من الجنة والبيت المعمور الذى فى السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه إلى يوم القيامة حذاء البيت الحرام ، ولما أهبط الله تعالى آدم إلى موضع الكعبة وهو مثل الفلك من شدة رعدته ، وأنزل عليه الحجر الأسود

يتلألأ كأنّه لؤلؤةٌ بيضاء فأخذه آدم صلى الله عليه وسلم فضمه إليه إستئناساً به ثم أخذ الله تعالى من بنى آدم ميثاقهم فجعله فى الحجر ، ثم أنزل على آدم العصا ثم قال : يا آدم تخط . فتخطى فإذا هو بأرض الهند فمكث ما شاء الله تعالى ، ثم استوحش إلى البيت فقيل له : أحجج يا آدم ، فلما قدم مكة لقيته الملائكة فقال : ما كنتم تقولون حوله ؟ قالوا : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، فكان آدم صلى الله عليه وسلم إذا طاف قال هذا الدعاء ، وكان يطوف سبعة أسابيع بالليل وخمسة أسابيع بالنهار وقال : يا رب اجعل لهذا البيت عماراً يعمرونه من ذريتى فأوحى الله عز وجل : أن يعمره نبي من ذريتك إسمه إبراهيم أقضى على يده عمارته واستنبط له سقايته وأريه مواقفه وأعلمه مناسكه » .

وفى دلائل البيهقى عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بعث الله عز وجل جبريل صلى الله عليه وسلم إلى آدم وحواء فقال لهما : أبنيا لى بيتاً فخط لهما جبريل صلى الله عليه وسلم ، فجعل آدم يحفر وحواءُ تنقل حتّى أصابه الماءُ ، نودى من تحته حسبك يا آدم ، فلما بنياه أوحى الله عز وجل إليه أن يطوف به ، وقيل له أنت أول الناس ، وهذا أول بيت ثم تناسخت القرون حتّى حجه نوح عليه الصلاة السلام ثم تناسخت القرون حتّى رفع إبراهيم عليه الصلاة والسلام القواعد منه ، قال الأزرقى فى تاريخ مكة «جعل إبراهيم صلى الله عليه وسلم طول بناء الكعبة فى السماء سبعةَ أذرع وطولها فى الأرض ثلاثين ذراعاً ، وعرضها اثنين وعشرين ذراعاً وكانت بغير سقف ، ولما بنتها قريش

جعلوا طولها ثمانى عشرة ذراعاً فى السماء ونقصوا من طولها فى الأرض ستة أذرع وشبرا تركوها فى الحجر ، ولما بناها عبد الله بن الزبير جعل طولها فى السماء سبعة وعشرين ذراعاً .

قال السهيلى «وكان بناء الكعبة فى الدهر خمس مرات : الأول حين بناها شيث بن آدم عليه السلام ، الثانية حين بناها إبراهيم عليه الصلاة والسلام على القواعد الأولى ، والثالثة : حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام . والرابعة حين احترقت فى عهد ابن الزبير بشرارة طارت من جبل أبى قبيس فوقعت فى أستارها فاحترقت فقام ببنائها . فألصق بابها بالأرض وبنى باباً آخر من ورائها وأدخل الحجر فيها والخامسة بناها عبد الملك بن مروان وهدم ما بناه ابن الزبير وبناها على ما كانت عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم» .

ومهما يكن من أقوال فإن الكعبة أعيد بناؤها عدة مرات على القواعد التى أقام عليها إبراهيم عليه الصلاة والسلام وأن تصدع البناء كان من أثر السيول ويقال أن قصى بن كلاب عندما آل إليه أمر البيت لمائتى عام قبل الهجرة قام بهدم الكعبة وأعاد بناءها على ما كانت عليه وأنه أحكم البناء وسقفها من الداخل بجذوع النخيل وبنى بجوارها دار الندوة أى مقر حكومته .

والثابت أيضاً أن قريشا قامت ببناء الكعبة لخمسة أعوام سابقة على الإسلام حينما تصدع البناء من أثر السيول وأنهم حينما ارتفعوا بالبناء إلى مكان الحجر الأسود اختلفوا على من يكون له شرف وضع هذا الحجر المبارك وكاد الشجار يدب فيهم لولا تحكيم رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولم تنزل عليه الرسالة المحمدية بعد . فقام عليه الصلاة والسلام بنشر ردائه ووضع عليه الحجر الأسود وطلب من زعماء قريش أن يمسكوا بأطراف الرداء ويحملوا الحجر حتى إذا ما وصلوا إلى مكانه رفعه عليه الصلاة والسلام ووضعه في مكانه وبهذا الحكم العادل أنتهى الشجار واستمر العمل فى إتمام بناء الكعبة وفى هذا يقول المولى سبحانه وتعالى فى محكم كتابه الكريم «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» .

وفى سنة ٩٦٠ هجرية أعيد ترميم بناء الكعبة على ما كانت عليه منذ التعديلات التى أدخلها الحجاج على بناء عبد الله بن الزبير .

وفى سنة ١٠٢١ هجرية قام السلطان أحمد بعمارة الكعبة على أثر تصدع فى بعضا لبناء .

وفى سنة ١٠٣٩ هجرية قام السلطان مراد بترميم الكعبة على أثر سيل جارف أصاب جدرانها .

وفى سنة ١٣٨٠ هجرية قام الملك سعود بمعاونة الدول العربية فى ترميم الكعبة بعد أن تصدع البناء وأصلحه مع الإبقاء على الكعبة بحالتها التى كانت عليها .

وصف الكعبـة المشرفة

الكعبة بوضعها الحالى مبنية من الأحجار الزرقاء الصلبة وهى تشبه الجرانيت ويبلغ إرتفاعها ٢٥ مترًا وطول أضلاعها حوالى عشرة أمتار عدا الضلع الغربى اثنى عشر مترا .

وهى بناء مربع له أربعة أركان . الركن الذى به الحجر الأسود وهو أول الطواف . ثم الركن العراقى . وبه أول حجر إسماعيل . والركن الشامى وبه نهاية حجر إسماعيل . والركن اليمانى ويقال له باب إبراهيم .

باب الكعبة

يقع باب الكعبة على يمين الحجر الأسود وفى مقابلة مقام إبراهيم ويرتفع عن الأرض حوالى متر ونصف ويبعد عن الحجر الأسود متر ونصف وعرض الباب حوالى متر وارتفاعه متران وهو مصنوع من الخشب المغطى بصفائح الذهب والفضة . وهذا الباب يؤدى إلى داخل الكعبة حيث توجد حجرة فى وسطها ثلاثة أعمدة ترتفع إلى سقف الكعبة من خشب العود وعلى يمين الداخل وفى الركن الشمالى الشرقى باب يصعد منه درج إلى أعلا الكعبة يقال له باب التوبة ومسدول عليه ستارة من الحرير وحوائطه وأرضه مكسوة بالرخام المجزع وسقف هذه الحجرة عليه ستار من الحرير المزركش . وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين داخل جوف الكعبة بعد الطواف يوم فتح مكة وعندما أخذ سيدنا على بن أبى طالب مفتاح الكعبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم استعاده منه وسلمه لطلحة بن شيبة وقال له « إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلى أَهلِهَا وإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بالعَدْلِ »

الحجر الاسود

الحجر الأسود بيضاوى الشكل مساحته ١٥ سنتيمترا فى ٢٠ سنتيمترا وجوانبه مثبتة بصفائح من الفضة وهو مرتفع عن الأرض بحوالى متر

ونصف وهو على يسار باب الكعبة بحوالى مترين تقريباً وقال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحجر الأسود يمين الله فى أرضه » وقد قبله رسول الله صلى الله عليه وسلم وسئل سيدنا عمر بن الخطاب عن ذلك فقال « والله إنى لأعلم أنه حجر لا ينفع ولا يضر ولولا أنى رأيت رسول الله يقبله ما قبلته » وهو بدأ الطواف بالكعبة وعنده ينتهى الطواف . إقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا وارد عن الوليد الأزرقى عن سفيان ابن عبيدة عن مجاهد الشعبى .

حجر اسماعيل

هو دوران من الرخام يبتدىء بالركن العراقى بطول ضلع الكعبة وينتهى بالركن الشامى وله مدخلان مدخل من الركن العراقى ومدخل من الركن الشامى وارتفاع سور الحجر من الأرض حوالى متر ونصف والطواف يكون خارج هذا السور ويتوسط هذا السور الميزاب الذهبى الموضوع بأعلا الكعبة وفى هذا المكان رخامتان خضر مستطيلتان على شكل محراب يقال أنهما علامتان لقبرى سيدنا إسماعيل عليه السلام والسيدة هاجر رضى الله عنها وبين القبرين مسافة عشرين سنتيمترا . والصلاة جائزة فى داخل هذا الحجر .

الملتزم

وهو مكان أسفل باب الكعبة والدعاء فيه مستجاب .

مقام ابراهيم

وموضعه مقابل ما بين الركن العراقى وباب الكعبة وعليه قبة وسور من النحاس ومن خلفه مصلى لركعتى الطواف ويقال أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم صلى به ركعتى سنة الطواف لقوله تعالى «وإذْ جَعَلْنَا البَيْتَ مَثَابَةً للنَّاسِ وأَمْنًا واتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وعَهِدْنَا إلى إبْرَاهِيمَ وإسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِى للطَّائِفِينَ والعَاكِفِينَ والرُّكَّعِ السُّجُودِ »

بئر زمـزم

تقع بئر زمزم فى مقابلة الحجر الأسود والمسافة بينهما حوالى اثنى عشر متراً ويقع مقام إبراهيم على يمينها وقد كانت إلى وقت قريب داخل قبة مرتفعة وحول البئر حوض يستقى منه الحجاج بالدلو وفى سنة ١٩٦٠ غيرت الحكومة السعودية معالم هذه القبة بأن بنت سورا كبيرا تحت الأرض حول البئر واستحدثت استخراج الماء منه بالطرق الميكانيكية ومدت أنابيب المياه والصنابير حول البئر حتى يتسنى لجميع الحجاج الشرب والوضوء منها .

كسوة الكعبـة المشرفة

ذكر ابن إسحاق فى سيرته أن تُبَّعاً كان هو وقومه أصحاب أوثان يعبدونها فقصده نفر من هذيل بن مدركة فقالوا : ألا ندلك على بيت مال داثر ؟ قال : بلى . قالوا : مكة . وإنما أراد الهذليون هلاكه لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك . فقال له حبران كانا معه : إنما أراد هؤلاء هلاكك . قال : فماذا تأمرانى ؟ قالا : تصنع عنده ما يصنع أهله ، وتحلق وتطوف وتنحر . ففعل وأقام بمكة ستة أيام ينحر للناس ويطعمهم فأرى فى المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف (وهو الثياب الغليظة جدا تشبيهاً بالخصف المنسوج من الخوص وقيل انها الحصير) » .

ثم كساه المعافرى «وهى بردىمانية منسوبة إلى معافر وهى قبيلة يمنية ثم أرى أن يكسوه أحسن فكساه الملاء والوصائل وهى ثياب يمنية خفيفة مخططة .

ويعتبر الملك تُبّع أول من كسا الكعبة ، وقال ابن قتيبة كان هذا الكساء قبل الإسلام بسبعمائة عام.

وورد عن ابن إسحاق أن أول من كسا الكعبة الديباج هو الحجاج وقيل أن أول من كساها عبد الله بن الزبير وقيل عبد الملك بن مروان وقيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كساها «القباطى » وهى ثياب بيضاء رقيقة كانت تصنع فى مصر .

ثم كساها معاوية بن أبى سفيان مرتين وأن المأمون كان يكسوها ثلاثاً : الديباج الأحمر يوم التروية ، والقباطى يوم هلال رجب ، والديباج الأبيض يوم سبع وعشرين من رمضان المعظم .

وحالياً تكسى الكعبة بالحرير الأسود المطرز بخيوط الذهب وكانت الجمهورية العربية المتحدة تكسوها بهذه الكسوة منذ مئات السنين .

الفَصلُ الثالِثُ

أقوالٌ في بناءِ الكعبة

عن ابن عباس . . قال النبي صلى الله عليه وسلم . . . ! يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم ! ولو لم تغرف من الماء لكانت زمزم علينا معيناً . قال : فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك : لا تخافى الضيعة فإن هذا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه . وأن الله لا يضيع أهله ـ وكان البيت مرتفعاً كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله ، فكان كذلك حتى مرت بهم رفقه من جرهم أو أهل بيت من جرهم . . فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائرا عائناً فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء ، فأرسلوا جرياً أو جريين فإذا هم بالماء . فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا . قال : وأم إسماعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ قالت نعم . قال ابن عباس وقال النبي صلى الله عليه وسلم : قالت ذلك أم إسماعيل وهى تجد الأنس ، فنزلوا وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أبيات منهم وشب إسماعيل وتعلم العربية منهم . . .

ونحن موجزون الأقوال فيمن بنى الكعبة أوّلُ :

الأول :

إن أول من بنى الكعبة هم الملائكة قبل خلق آدم عليه السلام وطافوا بها كما يطوفون بالعرش وأنه لا زالت الملائكة تنزل من السماء وتطوف بالكعبة إلى اليوم المعلوم يوم القيامة .

الثانى :

أن آدم عليه السلام أول من بنى الكعبة وأن الله سبحانه وتعالى أشار له على مكانها فحضر حتى أقام الأساس ثم بناها وحج وطاف حولها .

الثالث :

أن شيث بن آدم عليهما السلام هو أول من بنى الكعبة وطاف بها .

الرابع :

أن الصابئين يعتقدون أن أول بيت بنى لعبادة الله بمكة بناه سيدنا إدريس عليه السلام ويقولون أنها بيت زحل أعلى الكواكب السيارة. ودراسة مستفيضة محببة إلى النفوس تلك التى كتبها الاستاذ الكاتب الكبير عبد الحميد جودة السحار فى كتابه محمد رسول الله والذين معه ـ العدد ٢ ـ هاجر المصرية » يقول فى صفحة ٣٠٣ (وقد وقفت طويلا عند الأخذ برواية من الروايات المختلفة التى وردت فى بناء الكعبة ، وكانت هناك أساطير كثيرة تقرر أن الملائكة أول من بناها ، وأحاديث أخرى تروى كيف بناها آدم ، وكان رأى العرب أن ابراهيم أول من بناها ، وكدت آخذ بهذا الرأى لولا أنى وقفت حائرا أمام ما جاء فى القرآن الكريم « رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ » إن ابراهيم يذكر البيت المحرم قبل أن يؤمر بإقامة القواعد من البيت ، فعاودت البحث والتنقيب حتى اهتديت إلى رأى أنار لى سبيلى واطمأن إليه عقلى ، وجدت أن الصابئة ـ «الصابئة فئة من الناس كانوا يؤمنون بالله قبل أن يدعوهم إبراهيم إليه وكانوا فى مصرمذ كان إدريس عليه السلام ـ وتلقوا على يديه عقيدة التوحيد ـ ثم تلقوها

على أيدى الأحبار الذين كانوا يدينون بدين إدريس ... وهم يعتقدون أن سيدنا ادريس عليه السلام هو أول من بناها « الكعبة » يقول الكاتب الكبير عبد الحميد جوده السحار فى كتابه «ابراهيم ابو الانبياء ص ٣٢٨ ، وكان الصابئون يعتقدون أن أول بيت بنى لعبادة الله بمكة وأن ادريس عليه السلام هو الذى بنى الكعبة ، وأنها بيت زحل أعلى الكواكب السيارة وأن الطوفان غمرها فيما غمر ، إلا أنهم كانوا يطوفون حول هياكلهم أسوة بطواف ادريس حول الكعبة ....» .

ولد سيدنا ادريس عليه السلام فى منف (بمصر) قبل نوح وقبل عصر الأسرات ، وكان صديقا نبيا : « واذكر فى الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا » وجمعت ما كتب عن ادريس فوجدت أنه أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط وأول من نظر فى علوم النجوم والحساب وأول من علم الناس الزراعة ، وذكر فى ذلك ما كتب عن ازوريس إله المصريين فرجعت إلى المراجع الفرعونية فإذا بها كلها تذكر أن ازوريس كان ملكا فى الأرض قبل عصر الأسرات وهو أول من علم الناس الكتابة وأول من علم الناس الزراعة وأول من لبس الثياب ......

وكان ادريس من منف وكان ازوريس من منف وقد قام ازوريس بكل ما قام به إدريس وبدأت أقتنع بأن أزوريس إن هو إلا إدريس عليه السلام .

ومن هنا يعتقد الصابئون بأن اوزوريس ملك مصر هو نفسه ادريس النبى الصديق الذى بنى الكعبة وطاف حولها .

وهذا القول رجحه الاستاذ الكاتب عبد الحميد جودة السحار وهو أيضا بحث فيه ما يدل على صحته حسبما ورد فى كتاب «كنزه» وهو الكتاب المقدس عند الصابئين .

الخامس :

وهو أن الذى أقام القواعد من البيت ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وهذا لا يحتاج إلى شك أو تفسير أو تأويل لثبوته القطعى بما جاء من آيات بينات فى كتاب الله الكريم لقوله تعالى (وإذ يرفع ابراهيمُ القواعدَ من البيت واسماعيلُ ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » .

وفى قوله تعالى (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود) .

الفصل الرابع

المسجد الحرام

قال أبو الوليد الأزرقى وأبو الحسن الماوردى : أما المسجد الحرام فكان فناء حول الكعبة ، وفضاء للطائفين ولم يكن له على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم جدار يحيط به وكانت الدور تحدق به وبين الدور أبواب يدخل الناس من كل ناحية فلما ولى إمارة المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال : إن الكعبة بيت الله ولا بد للبيت من فناء ، وإنكم دخلتم عليها ولم تدخل عليكم فاشترى الدور من أهلها وهدمها وبنى المسجد المحيط بها واتخذ له جداراً .

ولما استخلف عثمان بن عفان اشترى دوراً أخرى وأجرى توسعته واتخذ به أروقة .

وفى عهد ابن الزبير قام باتقان مبناه دون التوسعة وجعل له أعمدة من رخام وزاد فى أبوابه وحسنها .

وفى عهد عبد الملك بن مروان زاد فى ارتفاع حائط المسجد وحمل إليه السوارى فى البحر إلى جدة واحتملت من جدة إلى مكة وأمر الحجاج فكساها الديباج ثم كان الوليد بن عبد الملك فزاد فى حليها وصرف فى ميزابها الذهب وسقفها من ذهب وفضة وظل المسجد على حاله إلى أن تم توسعته فى عهد الملك سعود بن عبد العزيز فنزع ملكية المنازل المجاورة

وأدخل مساحة كبيرة فى الحرم وأدخل الصفا والمروة داخل المسجد وبناه من دورين يتسع لنصف مليون مصلى .

ولقد سمى فناءُ الكعبة بالمسجد الحرام لقوله تعالى «قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فى السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ »

ولقوله تعالى «وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ » (سورة البقرة) .

ويقول عز من قائل « فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ وإِنَّهُ للحَقُّ مِنْ رَبِّكَ »

ويقول سبحانه فى محكم كتابه « سُبْحَانَ الذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ ليلًا مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ » .

ولقوله عليه الصلاة والسلام «صَلاةٌ فى مَسْجِدِى هَذا أَفْضَلُ مِن أَلْف صلاةٍ فيما سواه إلا المسجِدِ الكَعْبَة » رواه النسائى عن ميمونة زوج النبى رضى الله عنها .

حدود المسجد الحرام

عن رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم (أساس المسجد الذى وضعه إبراهيم عليه السلام من الحزوة إلى المسعى إلى مخرج سيل أجياد) رواه أبو هريرة رضى الله عنه قيل أن أول من نصب حدود الحرم هو سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام حينما أرى الله تعالى إبراهيم مناسك الحج لقوله

تعالى « رَبَّنَا واجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرحِيم » .

ويقال ان قريشاً خلعت العلامات التى كانت تحد الحرم فى زمن الرسول عليه الصلاة والسلام فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعادها كما كانت . وقيل ان سيدنا عمر بن الخطاب هو الذى نصب معالم الحرم وحده من طريق المدينة دون التنعيم على ثلاثة أميال من مكة ومن طريق اليمن « طرف أضاة لبن » على ستة أميال ومن طريق الطائف عند أضاة لبن على طريق عرفه من بطن نمرة على أحد عشر ميلاً وهذا ما ورد عن الأزرقى ومن طريق العراق على ثنية جبل المقطع على سبعة أميال ومن طريق الجعرانة فى شعب آل عبد الله بن خالد على تسعة أميال ومن طريق جدة منقطع العشائر على عشرة أميال ومن الطائف على سبعة أميال . وقال ابن سراقة فى كتاب الأعداد. والحرم فى الأرض موضع واحد وهو مكة وما حولها ومساحة ذلك ستة عشر ميلاً فى مثلها . ولذا يقال أن مكة كلها حرم .

خصائص البيت الحرام

الاول :

إنه أول بيت وضع على الأرض لقوله تعالى « إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيم وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ولِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ من اسْتَطَاعَ إِليهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِىٌّ عَنِ العَالَمِينَ »

الثانى :

عظَّم الله سبحانه هذا البيت بأَن جعله مكاناً مقدساً يؤدّى عنده الحج والعمرة والحج فريضة ، كما أَن الله تعالى جعل هذا البيت آمناً لقوله تعالى «وإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ» .

الثالث :

قال عليه الصلاة والسلام : «البيت قبلة لأَهل المسجد ، والمسجد لأَهل الحرم والحرم لأَهل مشارق الأَرض ومغاربها» رواه عمر بن حفص وذكره البيهقى .

الرابع :

الصلاة فى المسجد الحرام صحيحة فى جميع أَركان المسجد وفى مواجهة الكعبة لأَن الله تعالى ولى وجه نبيه الكريم شطر المسجد الحرام . وهى قبلة المسلمين جميعاً .

الخامس :

إِن تحية المساجد الصلاة وتحية البيت الطواف ، والطواف فى أَى وقت فى الليل والنهار .

السادس :

تحية الحرم بالإِحرام بالحج أَو بالعمرة .

السابع :

الدعاءُ عند رؤية الكعبة مستجاب لما روى عن البيهقى فى سننه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «تفتح أبواب السماء ويستجاب الدعاء فِي أربعة مواطن ، عند التقاء الصفوف ونزول الغيث وإقامة الصلاة ورؤية الكعبة » . وعن الحسن البصرى رضى الله عنه قال : الدعاءُ مستجاب فى خمسة عشر موضعاً ، في الطواف وعند الملتزم وتحت الميزاب ، وفى البيت ، وعلى الصفا والمروة ، وفى المسعى ، وخلف المقام ، وفى عرفات والمزدلفة وعند الجمرات بمِنى .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «لا تُرْفع الأَيْدى إلّا فى سَبْعَةِ مَواطِن ، حين تفتتح الصلاة ، وحين تدخل المسجد الحرام فتنظر إلى البيت ، وحين تقوم على الصفا وحين تقوم على المروة وحين تقوم مع الناس عشية عرفة وتجمع العشاءين وحين ترمى الجمرات »

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قام تحت ميزاب الكعبة فدعا استجيب له وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمه » .

الثامن :

يرتب الثواب على مجرد النظر إلى الكعبة . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « يُنْزِلُ الله على أهل المسجد ، مسجد مكة ، كل يوم عشرين ومائة رحمة ستين منها للطائفين وأربعين منها للمصلين وعشرين منها للناظرين » .

التاسع :

لدخول الحرم آداب ، ككف البصر من غير تأمل جدرانه وسقوفه ودخوله بخضوع وخشوع . متذللا عارى الرأس متجردا من لباس الدنيا بخلاف غيره من البقاع .

العاشر :

يستحب الغسل لدخول الكعبة ولدخول الحرم وقيل ويستحب لدخول مكة ولا فرق بين أن يكون الداخل محرماً أو حلالا .

الحادى عشر :

إن صلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد لقوله عليه الصلاة والسلام : «صلاة فى مسجدى خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام» ولقوله عليه الصلاة والسلام «صلاة فى المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجدى هذا بمائة صلاة» .

وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف فيما سواه» وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم «فضل الصلاة فى المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة وفي مسجدى ألف صلاة ، وفي مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة» .

الثانى عشر :

التضعيف حسبما ورد فى الأحاديث السابقة لا يختص بالصلاة بل يشمل سائر الطاعات وكذلك قياساً على ما ثبت فى الصلاة لقوله عليه الصلاة والسلام «رمضان بمكة أفضل من ألف رمضان بغير مكة»

ولقوله صلى الله عليه وسلم «من حج من مكة ماشياً حتى يرجع إليها كتب له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم وحسنات الحرم الحسنة بمائة ألف حسنة» . وعن الحسن البصرى رضى الله عنه «صوم يوم بمكة بمائة ألف ، وصدقة درهم بمائة ألف وكل حسنة بمائة ألف حسنة» .

الثالث عشر :

إن صيد الحرم حرام على الحلال والمحرم بالإجماع لقوله صلى الله عليه وسلم «ولا ينفر صيدها» ونبه بالتنفير على الإتلاف .

الرابع عشر :

إن قطع شجره وحشيشه حرام على الحلال والمحرم لقوله صلى الله عليه وسلم «ولا يعضد شجرها» أما المستنبت إلى غير الشجر كالحنطة والشعير وسائر الخضروات فيجوز قطعه وقلعه ، وأجاز الشافعى الرعى فى الكلأ .

الخامس عشر :

يحرم القتال بمكة لقوله صلى الله عليه وسلم : إنها لم تحل لى إلا ساعة من نهار» ولقوله عليه الصلاة والسلام «إن مكة حرمها الله ، ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ، ولا يعضد بها شجرة فإن أحد ترخص بقتال رسول الله فيها فقولوا :

إن الله عز وجل أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لى فيها ساعة من نهار ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب » ولا يحل لأحد أن يحمل السلاح بمكة لقوله عليه الصلاة والسلام : « ولا يحل لأحد أن يحمل السلاح بمكة » .

السادس عشر :

لا يجوز لكافر أن يدخل حرم مكة حتى ولو جاء فى رسالة لقوله عليه الصلاة والسلام « لا يجتمع مسلم ومشرك في الحرم » ولقول ابن عباس «لا يدخل أحد مكة إلا محرماً » .

السابع عشر :

يختص ذبح الحيوانات فى الحج والهدايا به ويجب تفريقه على مساكين الحرم سواء الغرباء والقاطنون .

الثامن عشر :

يجب على من خرج من مكة وإن يكن قد حج أو اعتمر إلى مسافة تقصر فيها الصلاة مكيا أو غير مكى أن يطوف للوداع تعظيما للحرم لقوله عليه الصلاة والسلام : «لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت » .

التاسع عشر :

روى عن بعض السلف : أن الملك إذا نزل إلى الأرض فى بعض أمور الله تعالى فأول ما يأمره الله تعالى به زيارة البيت ، فينقض من تحت العرش محرماً ملبياً حتى يستلم الحجر ثم يطوف بالبيت سبعاً ويركع ركعتين ثم يغدو لحاجته بعد » رواه الأزرقى بسنده إلى وهب بن منبه .

العشرون :

روى أن الكعبة تحشر يوم القيامة كالعروس المزينة ومن حجها تعلق بأستارها حتى تدخلهم الجنة .

الحادى والعشرون :

تخصيصها بالحجر الأسود وأنه يمين الله فى أرضه واختصها بماء زمزم الذى هو سيد المياه لقوله صلى الله عليه وسلم « إنها مباركة إنها طعام طعم ، إنها خير ماء على وجه الأرض فيها طعام من الطعم وشفاء من السقم » وأنه اختصها بمقام إبراهيم وجعل منه مصلى .

توسعة الحرم المكى

الحرم المكى حاليا وبعد التوسعة الجديدة التى أدخلتها الحكومة السعودية يتسع لحوالى نصف مليون مصلٍّ ، ومساحته خمسة وسبعون ألف متر مربع وكان أصله ثلاثين ألف متر مربع والمساحة المكشوفة حول الكعبة كانت ٤٥٠٠ أربعة آلاف وخمسمائة متر مربع أصبحت بعد التوسعة عشرة آلاف متر مربع للمسجد الحرام و٢٢ بابا منها ثمانية فى الشمال هى باب الدريبة ، وباب الحكمة وباب الزيارة وباب التطى وباب الباسطية وباب الزمامية وباب عمرو بن العاص .

ومن جهة الجنوب سبعة أبواب هى · باب أم هانئ وباب العجلة وباب الرحمة وباب أخيار وباب الصفا . وباب بنى مخزوم وباب باذان .

ومن الجهة الغربية ثلاثة أبواب هى : باب العمرة وباب إبراهيم وباب الجزورة .

ومن الجهة الشرقية أربعة أبواب هي : باب بني هاشم أو باب علي، وباب العباس وباب النبي ثم باب السلام وهو أول باب يدخل الحاج منه إلى الحرم عند طواف القدوم .

وفي المشروع الجديد سيكون للمسجد ثلاثة أبواب رئيسية هي : باب السلام وباب العمرة وباب سعود .

وللمسجد الحرام ست منارات (مآذن) هي : منارة العمرة ومنارة باب السلام ومنارة باب علي ومنارة الجزورة ومنارة باب الزيارة . وقد ارتفع البناء في المسجد إلى دورين ودخلت المسعى ضمن المسجد الحرام بعرض ٣٠ متر ولها ثمانية أبواب . وطول المسعى ٤٢٠ متر .

الفصل الخامس

أقوال في الحجر الأسود

١ - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحجر الأسود يمين الله فى أرضه يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه » هذا الحديث وارد عن ابن عباس . وفي رواية أخرى « الحجر الأسود من الجنة وكان أشد بياضا من الثلج حتى سودته خطايا أهل الشرك » .

٢ - وورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا أن طمس نورهما لأضاءا مابين المشرق والمغرب » .

٣ - وعن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضًا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم) .

٤ - وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل الحجر الأسود فى طوافه بالكعبة المشرفة فى حجة الوداع . وليس هذا فحسب . بل كان يضع خده عليه وكان يسجد عليه وغيرها يقول : أنه طاف على بعيره يستلم الحجر بمحجنه أو أشار لشئ معه وكبر . ورد هذا عن الحافظ والبيهقى وعكرمة وعن ابن عباس .

٥ - روى عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : رأيت عمر بن الخطاب يقبل الحجر ويقول : اللهم أنى أعلم أنك لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك) (وقال الطبرى : إنما قال عمر ذلك مع أنه معلوم بالضرورة أن الحجر لا يضر ولا ينفع . ليعلم الناس وكانوا حديثى عهد بالجاهلية ... والحجر الأسود جزء من الكعبة المشرفة . وحين أراد سيدنا إبراهيم أن يجعل مبدأ للمطاف وضع الحجر الأسود فى مكانه من ذلك الركن . ليسهل على الطائفين بدء الطواف بمجرد النظر إليه . لئلا يضطرب الطائفون فى الأركان .

٦ - الثابت من تاريخ العرب أنهم كانوا يقدسون الحجر الأسود لأنه أثر من آثار أبيهم إبراهيم عليه السلام وأنهم لم يعبدوه برغم عبادتهم للأوثان والأصنام وكلها من الحجارة وهذا يدل على مدى تمسكهم بتقديس هذا الأثر والابقاء عليه فى مكانه ويؤكد هذا الشجار الذى كاد يقع بينهم عندما اختلفوا على من له شرف رفع الحجر ووضعه فى مكانه عندما أعادوا بناءها ولولا تحكيم رسول الله صلى الله عليه وسلم لوقع مالا تحمد عقباه .

٧ - ثبت تاريخيا أن القرامطة قد انتزعوا الحجر الأسود من مكانه وعبثوا به فأدال الله سبحانه تعالى بهم من قت أن تهجموا على الحجر الأسود فأعادوه مكانه .

٨ - ذكر «ابن الأثير» فى تاريخه : أن إبراهيم عليه السلام حينما أمره الله ببناء البيت الحرام ، قال لولده إسماعيل :أن الله يأمرنى أن ابنى له بيتا . قال إسماعيل فأطع ربك فقال إبراهيم : وقد أمرك الله أن تعيننى على بنائه . قال : إذن أفعل . فقام معه فجعل إبراهيم يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة . ثم قال إبراهيم لاسماعيل : ائتنى بحجر حسن أضعه فى الركن فيكون للناس علمًا . فأخذ حجرًا من جبل « أبى قبيس » وقيل أن جبريل

وجهه بحجر هو الحجر الأسود . فأخذه ووضعه فى موضعه فلما ارتفع البناء كان إبراهيم يقف على حجر وإسماعيل يناوله . وهذا الحجر هو مقام إبراهيم . وهكذا تعاون إبراهيم وإسماعيل حتى رفعا قواعد البيت وأتما بناءه .

٩ – لما أذن إبراهيم فى الناس بالحج كان الحجر الأسود موضع بدء الطواف ونهايته وكان الطائفون يبدءون باستلامه وكأنهم يسجلون أنفسهم فى هذا السجل الخالد ويقترن ذلك فى نفوسهم بأجل الذكريات عن النبى الكريم إبراهيم عليه السلام . فيزداد حبهم لهذا الحجر المبارك .

١٠ – فرض الله سبحانه وتعالى الحج على المسلمين وجعله الركن الخامس من أركان الاسلام وجعل من أركان الحج الطواف ببيت الله الحرام وجعل من شروط الطواف أن يكون الحجر الأسود نقطة البدء ونقطة النهاية فى المطاف . ومن السنن المأثورة عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه – تقبيل الحجر واستلامه فإن لم يستطع الحاج فليشر إليه بيده . ثم يبدأ الطواف بالتكبير ثلاثا وكذا عند نهاية الطواف يكبر ثلاثًا « الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . ولله الحمد » وإن كان استلام الحجر فى بداية ونهاية الطواف شرطا فليس التقبيل شرطًا .

١١ – كانت العرب تحج بيت الله المعظم قبل رسالة الإسلام ولتسعة عشر قرنا سابقة على الإسلام لأنهم كانوا يعتقدون أنه بيت الله عز وجل وعلى دين إبراهيم رغم وثنيتهم وجاهليتهم وبرغم تعدد الديانات والمذاهب وكانوا يقصدون الكعبة المعظمة سنويا للطواف بها من غير أن يدعيها لنفسه فريق منهم دون الآخرين لأنها كانت عندهم بيتا لله الذى هو إله العالمين وبالرغم من أنهم اتخذوا لأنفسهم من الأحجار آلهة «الأصنام» فإن أحدا

منهم لم يعبد الكعبة أو الحجر الأسود وكان تقديسهم واحترامهم للحجر الأسود لعقيدة عندهم أنه حجر من السماء جاء به سيدنا آدم عليه السلام عند هبوطه للأرض ومهما يكن من أقوال حول الحجر الأسود فإنه حجر مقدس محترم له جلاله عند إبراهيم وإسماعيل ومن كان على دينهم وعند المسلمين اليوم وغدا إلى يوم الدين . وتعظيمهم لهذا الحجر ليس مرجعه العبادة بل هو طاعة لشعائر الحج لأنه نقطة بدء الطواف ونهايته ويمكن القول عنه أنه علامة مميزة للطواف .

وقد روى ابن شيبة والدار قطنى فى العلل عن عيسى بن طلحة أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا عند الحجر فقال : « إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع » ثم قبله .

وهكذا فعل أبو بكر الصديق . وقال أيضا « إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقبلك ما قبلتك »

وقال هذا القول المأثور أيضا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو (أما والله أنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك ، ثم دنا فقبله ... ورواه الإمام أحمد والبخارى ومسلم وغيرهم .

حادث وضع الحجر الاسود قبل النبوة :

عن مجاهد عن مولاه –يعنى السائب بن عبد الله– أنه حدثه أنه كان فيمن يبنى الكعبة فى الجاهلية . قال : لى حجر أنا نحته بيدى أعبده من دون الله تبارك وتعالى فأجئ باللبن الخاثر الذى أنفسه على نفسى ، فأصبه

عليه ، فيجئ الكلب فيلحسه ، ثم يشغر فيبول . فبنينا حتى بلغنا موضع الحجر وما يرى الحجر أحد ، فإذا هو وسط حجارتنا مثل رأس الرجل يكاد يتراءى وجه الرجل . فقال بطن من قريش : نحن نضعه . وقال آخرون : نحن نضعه . فقال : اجعلوا بينكم حكمًا . قالوا : أول رجل يطلع من الفج . فجاء النبي صلى الله عليه وسلم . فقالوا : أتاكم الأمين ، فوضعه فى ثوب ، ثم دعا بطونهم فأخذوا بنواحيه معه فوضعه هو صلى الله عليه وسلم » .

رواه أحمد ورواه الحاكم ومسلم (الفتح الربانى ج ٢٠ ص ٢٠٠) .

الفصل السادس

الحياة والأديان بمكة بعد بناء الكعبة

اجتمع بنو إسماعيل حول الكعبة في مشهد نوراني وهم يحملون جثمان نبي الله إسماعيل عليه السلام ليدفنوه بجوار أمه فى الحجر من الكعبة كوصيته ووقف ابنه ثابت عليه السلام يودع أباه مقره الأخير فى جنات الفردوس والنعيم وهو يردد دعاء جده إبراهيم عليه السلام «ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك . وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم» .

وولى أمر مكة ثابت الابن الكبير لسيدنا إسماعيل عليه السلام فكرس حياته لأداء الرسالة الكبرى التى بدأها جده سيدنا إبراهيم عليه السلام ومن حوله بنوه من نسل إسماعيل ومن تبعهم ممن جاورهم فى تلك البقعة المقدسة من الأرض وفى ذلك المجتمع الصغير الذى تكون حول بئر زمزم وحول بيت الله المعمور . ومن تلك البقعة المقدسة التى يشع منها نور الإيمان ونور الإسلام تفرق بنو إسماعيل حاملين رسالة أبيهم إبراهيم حيث نزلوا مصر ودمشق وبابل وغيرهم من بلدان آسيا وأفريقيا وظل هناك حول الكعبة فئة يعبدون الله وحده وحافظوا على دين أبيهم إبراهيم ولم تقع نكسة الشرك فيهم إلا بعد أكثر من ألف سنة من بعثة الخليل إبراهيم

وظلت ملة إبراهيم فى هذه الفئة التى أُطلق عليها (الحنفاء) وهم الذين عملوا بقوله تعالى (إن إبراهيم كان أُمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه فى الدنيا حسنة وإنه فى الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين » .

وبالرغم من وجود طائفة الحنفاء في مكة فقد أظلمت الدنيا على سكان هذه المنطقة وظهرت فيهم عبادات مختلفة فعبدوا الشمس وتقلدوا بالمجوس وعبدوا القمر والكواكب ثم انتهى بهم المطاف إلى عبادة الأصنام وكان مرجع ذلك أن مكة قد أصبحت طريقا هاما للقوافل القادمة من الشام ومن اليمن ومن غيرها من البلاد وكان من بين المترددين عليها عبدة الأصنام وقيل ان أول من أدخل عبادة الأصنام إلى مكة هو عمرو بن لحى بن حارثة عن ولد كهلان بن سبأ الخزاعى وكان أميرا على الحجاز وهو أول من أفسد دين إبراهيم وإسماعيل متخذا عبادة الأصنام دينًا له ولمن اتبعه من الضالين ويقال انه أخذ بهذه العبادة عن الفينيقيين ويقال أيضا ان أول صنم عبد فى الجاهلية هو (هبل) وهو أكبر الأصنام وقتئذ واتخذوا مكانا له فى جوف الكعبة وكان ذلك سنة ٢٠٠ ميلادية ثم انتشرت عبادة الأصنام فاتخذت كل قبيلة صنما لها حتى بلغ عدد الأصنام ثلثمائة صنم وأهم هذه الأصنام (هبل – اللات – مناة – العزى – يغوث – إساف – نائلة) وكان العرب يعبدون هذه الأصنام زلفى لتقربهم إلى الله الواحد القهار الذى سمعوا عنه من دين إبراهيم عليه السلام ثم تدرجت العبادات بمكة وأصبح منها عبادة الشمس والنار بجوار

الأصنام وبرغم ذلك ظلت هناك فئة تحافظ على دين إبراهيم وتدين به وهى فئة الحنفاء ومنهم قس بن ساعدة وزهير بن أبى سلمى وعبد الله القضاعى وكعب بن رقى بن غالب ثم تشتد قسوة قريش على هذه الطائفة من الحنفاء وتقتل من تجرأ على سب آلهتهم ويسقط الشهداء من الحنفاء صرعى الكفر والإلحاد وأمثال زيد بن عمرو بن نفيل وأمية بن أبى الصلت .

وفى القرن الخامس الميلادى شهدت مكة حادثين كان لهما أثر كبير فى تغيير مجرى الحياة بمكة والحادث الأول هو حفر بئر زمزم على يد عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى جد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ رأى فى منامه هاتفا يهتف به أن قم واحفر طيبة فقال وما هى فقال الهاتف فى الليلة الثالثة قم واحفر زمزم فهى سقيا للحجيج وأشار له إلى موقعها بجوار الكعبة وكانت هذه البئر قد طمثت (أى ردمت) بيد عمرو بن مضاض الجرهمى فقام عبد المطلب بمعاونة ابنه الوحيد الحارث ابن عبد المطلب فى الحفر فى المكان الذى أرشده له الهاتف وكانت مفاجأة مذهلة لعبد المطلب عندما عثر على كنز من الذهب قيل إنها بعض أسياف وغزالتن لقبيلة جرهم ولما ظهر الذهب نازعته قريش فى هذا الكنز وقال : أتخاصموننى لأنى وحيد الولد والله لئن رزقنى الله بعشرة أولاد لأذبحن أحدهم قربانا لله . ووهب ما عثر عليه من الذهب هدية للكعبة واستمر فى الحفر حتى نبع الماء من زمزم وولى السقاية وكان هو رب زمزم أى

المتصرف فى أمرها وتمر الأيام وتكثر التجارة بمكة ويزداد الإقبال عليها فتزدهر مكة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا على أثر حفر هذه البئر المباركة ويتغير الحال بمكة من فقر مدقع إلى ثراء فاحش ويستشرى الفساد بالبلاد وتصير مكة موطنا للفسق والفجور وتجارة الخمور والرق والميسر وتظهر فيها الطبقات : طبقة الأثرياء وهم السادة وماعداهم العبيد وتزداد ظلمة الحياة بهذه البقعة المقدسة لعلم سابق فى كتاب الله أنه عن قريب ومن أصلاب عبد المطلب سيخرج نبى لهذه الأمة يطهرها من براثن الشرك والعبودية .

ونعود مرة ثانية لنجد عبد المطلب سيد قريش وقد وقف عند الكعبة وحوله أبناؤه العشرة ليضرب القداح كى يفى بنذره لله وتخرج القداح على عبد الله أصغر أبنائه وأحبهم إليه ويهم عبد المطلب أن يذبح عبد الله فتضج قريش من هذا المبدأ الخطير الذى سنه عبد المطلب ويأتى وهب ابن منبه بن عدنان ليحول بين عبد المطلب وما عزم عليه وتأتى عرافة يثرب لتقول حكمًا فاصلًا فى هذا الأمر أن افتدوا عبد الله بعشرة من الإبل وزيدوا حتى ترضى الآلهة . ويعمل عبد المطلب بهذه المشورة ويفتدى عبد الله بعشرة من الإبل فلم ترض الآلهة وكلما ضرب القداح زاد حتى بلغت مائة فخرجت القداح على الإبل ولم تخرج على عبد الله ففرح عبد المطلب ونحر الإبل ووزع لحومها وأقام الولائم ابتهاجًا بنجاة عبد الله وكان لابد من ترضية عبد الله لما لاقاه طوال تلك الفترة العصيبة التى مرت بحياته فزوجه من السيدة آمنة بنت وهب وكان هذا إيذانا بالبشرى الكبرى التى بشر بها اليهود والنصارى بميلاد سيد البشر وخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى .

– وقصىّ جد الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه وكان اسمه زيدا وسبب تسميته قصيا أن أمه تزوجت بعد وفاة أبيه بربيعة بن خزام : فأقام مع أمه عند زوجها ببلاد قضاعة – وهى بلاد بعيدة عن قومه بمكة فسمى قصيا ، أى بعيدًا بسبب ذلك ، ولما كبر عاد إلى مكة . وجمع قريشا من مختلف البلاد وحارب خزاعة عن البيت الحرام وأجلاهم عن مكة ، وصار هو رئيس قريش على الإطلاق وآلت إليه الرفادة والسدانة والحجابة واللواء وهو الذى سن السقاية كما أنه هو الذى أسس دار الندوة أى دار الحكومة وهو أول من أمر بإضاءة المزدلفة بالنار ليهدى الحجاج القادمين من عرفة وهو أول من فرض على قومه خراجا من أموالهم لاطعام الحجاج وإكرامهم لقوله فى خطبته المشهورة (يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل مكة أهل الحرم وإن الحجاج ضيوف الله وزوار بيته وهم أحق بالضيافة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى يصدوا عنكم » .

ففعلوا ذلك وكانوا يخرجون له كل عام من أموالهم خراجا فيدفعونه إليه فيصنعون طعاما للناس أيام منىً فجرى ذلك من أمره فى الجاهلية حتى قام الإسلام ثم جرى فى الإسلام بعد ذلك مدة طويلة .

الحادث الثانى :

عن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف قال (ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى عام الفيل فنحن ولدان ولدنا مولدا واحدًا) والمقصود بكلمة عام الفيل فى هذا الحديث هو حادث ضجت له قريش وكان له أثر كبير فى حياتها لما حفظ به المولى سبحانه وتعالى بيته المعظم من طغيان وظلم المفسدين والقصة تلخص فى أن أبرهة بن الصباح ملك

اليمن من قبل النجاشى بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها الحاج . فلم ينصرف العرب عن الكعبة . فحلف ليهدمنها فخرج بجيش كبير يتقدمه فيل عظيم فلما اقترب من مكة خرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ويرجع عن هدم الكعبة . فأبى وتقدم بجيشه فأرسل الله عليهم طيرا مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيصعقه ورد الله كيد أعداء بيته إلى صدورهم . ومما قيل فى هذا المقام أن أبرهة كان قد أخذ لعبد المطلب مائتى بعير فخرج إليه فيها فلما دخل عليه عظم فى عينه وكان رجلا جسيما وسيما وقيل : هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رءوس الجبال فلما ذكر حاجته قال له أبرهة لقد كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم قد زهدتنى فيك حين كلمتنى : أتكلمنى فى مائتى بعير أخذتها منك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه ! فقال له عبد المطلب إنى أنا رب الإبل وإن للبيت ربًّا سيمنعه فقال أبرهة : ما كان ليمتنع منى ، قال : أنت وذاك . وانصرف عبد المطلب إلى الكعبة وأخذ بحلقة بابها وقام نفر من قريش يدعون الله ويستنصرون وقال عبدالمطلب وهو ممسك بباب الكعبة

لاهم إن العبد يمنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدوا محالك
إن كنت تاركهم وقبلتنا فأمر مّابدا لك

فأنزل الله على جيوش أبرهة الهلاك فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك وأصيب أبرهة فى جسده حتى مات وفى هذا يقول الله

سبحانه وتعالى : « الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول » .

وكانت هزيمة جيوش أبرهة نصرًا لفئة الحنفاء بمكة ووقف أمية ابن أبي السلط بن أبي ربيعة الثقفى أحد الحنفاء بجوار الكعبة ينشد هذه القصيدة :

إن آيات ربنا ثاقبات لا يمارى فيهن إلّا الكفور
خلق الليل والنهار فكل مستبين حسابه مقدور
ثم يجلو النهار رب رحيم بمهاة شعاعها منشور
حبس الفيل بالمقمس حتى ظل يحبو كأنه معقور
لازما حلقة الجران كما قطر من صخر كبكب محدور
حوله من ملوك كندة أبطا لملاويث فى الحروب صقور
خلفوه ثم ابذعروا جميعا كلهم عظم ساقه مكسور
كل دين يوم القيامة عند الـ له إلا دين الحنيفة بور

وبالرغم من هذين الحادثين الخطيرين في مكة ظلت مكة على جاهليتها تعيش فى الظلمات إلى أن بشر بميلاد رسول السلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

الفصل السابع

ميلاد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

شرفت مكة المكرمة بميلاد سيد المرسلين وخاتم النبيين وأشرف خلق الله أجمعين سيدنا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام فى يوم الإثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل وكان قبل حادث الفيل بخمسين يوما على أشهر الأقوال وقيل خمس وخمسين ليلة وذلك أن قدوم الفيل كان فى منتصف المحرم وقد حدد بعض المحققين يوم الميلاد باليوم العشرين من شهر نيسان (أغسطس سنة ٥٧٠ ميلادية) وكان ميلاده المبارك من أبويه الكريمين سيدنا عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم والسيدة آمنة بنت وهب . وقد طاف به جده عبد المطلب الكعبة المشرفة يوم مولده وأسماه محمداً رجاء أن يحمد فى الأرض وفى السماء . ولد صلى الله عليه وسلم يتيم الأب فقد مات أبوه عبد الله بالأبواء خارج المدينة ودفن هناك حينما كانت أمه حاملا فيه فى ستة أشهر وكفله جده عبد المطلب ولما بلغ السادسة من عمره ماتت أمه السيدة آمنة بنت وهب ودفنت فى طريق المدينة المنورة ولما بلغ التاسعة من عمره مات جده عبد المطلب وكفله عمه أبو طالب وتزوج من السيدة خديجة بنت خويلد سيدة نساء قريش وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ونزلت عليه النبوة والرسالة وهو فى سن الأربعين وتوفى صلوات الله وسلامه عليه وهو فى الثالثة والستين ودفن بمسجده المبارك بالمدينة المنورة وكان ميلاد المصطفى عليه الصلاة والسلام بمكة المكرمة مما زادها الله به تشريفا وتعظيما .

١ ـ عن واثلة بن الأسقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله عز وجل اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بنى إسماعيل كنانة ، واصطفى من بنى كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » حديث صحيح رواه أحمد ومسلم والترمذى وقال هذا حديث صحيح .

٢ ـ وعن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب قال : « أتى ناس من الأنصار النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنا لنسمع من قومك حتى يقول القائل منهم : إنما مثل محمد مثل نخلة تنبت فى كباد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أيها الناس من أنا ؟ قالوا : أنت رسول الله ، قال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ألا إن الله عز وجل خلق خلقه ، فجعلنى من خير خلقه ثم فرقهم فرقتين ، فجعلنى من خير الفرقتين ، ثم جعلهم قبائل ، فجعلنى من خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتا ، فجعلنى من خيرهم بيتا ، وأنا خيركم بيتا وخيركم نفسا » . رواه أحمد والترمذى وقال حديث حسن صحيح .

٣ ـ وعن مالك بن أنس عن الزهرى عن أنس قال :

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنا محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ما افترق الناس فرقتين إلا جعلنى من خيرهما ، فأخرجت من بين أبوى فلم يصبنى شىء من عهد

الجاهلية وخرجت من نكاح ، ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم ، حتى انتهت إلي أبي وأمي ، فأنا خيركم وخيركم أبا » .

رواه البيهقي (ذكره بلوغ الأماني حـ ٢٠ ص١٧٧) .

٤ ــ ورد في تاريخ مكة أن قصي جد الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه قال بعد انتصاره على قبيلة خزاعة وأجلائهم عن مكة «يا معشر قريش ، إنكم جيران الله ، وأهل مكة أهل الحرم ، وإن الحجاج ضيف الله وزواره وزوار بيته ، وهم أحق بالضيافة ، فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى يصدروا عنكم » .

٥ ــ عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : « ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين وتوفى يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة إلي المدينة يوم الاثنين وقدم المدينة يوم الاثنين ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين » .

تشريف مكة بنزول الرسالة المحمدية بها

قال البخاري : حدثنا يحيي بن بكير ، حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : «أول مابُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى ، الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فاق الصبح ثم حبب إليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء « حراء جبل بينه وبين مكة ثلاثة أميال على يسار الذاهب من مكة إلى منى » فيتحنث فيه .

– وهو التعبد – الليالى ذوات العدد ، قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ . فقال : «ما أنا بقارئ» قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد . ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم» فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد ، فقال : «زملوني – زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع . فقال لخديجة – وأخبرها الخبر – «لقد خشيت على نفسى» فقالت خديجة : كلا والله لا يخزيك الله أبدا. إنك لتصل الرحم ، وتقرى الضيف وتحمل الكل وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق . فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد ابن عبد العزى ، ابن عم خديجة ، وكان امرءا قد تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى ، فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء له أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمى . فقالت له خديجة : يا ابن العم ، اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة : يا ابن أخى ما ذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس الذى كان ينزل على موسى . يا ليتنى فيها جذعا ، ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أو مخرجى هم ؟» فقال : نعم ، لم يأت أحد بمثل ماجئت إلا عودى . وإن يدركنى يومك أنصرك

نصرًا موزرًا ، ثم لم ينشب ورقة أن توفى ، وفتر الوحى فترة حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا ــ حزنا غدا منه مرارًا كي يتردَّى من رءوس شواهق الجبال !! فكلما أُوتى بذروة جبل لكى ياتى نفسه ، تبدى له جبريل فقال : يا محمد ، إنك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه ، وتقر نفسه ، فيرجع . فإذا طالت عليه فترة الوحى ، غدا كمثل ذلك . قال : فإذا أُوتى بذروة جبل ، تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك » «رواه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى والنسائى » .

ومن هذا الحديث الصحيح الذى أوضح لنا كيف نزلت رسالة السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنها نزلت عليه بغار حراء حال تعبده . مما زاد مكة تعظيما وتشريفًا أن يولد فيها سيد الخاق أجمعين رسول رب العالمين وأن ينزل الأمين جبريل لرسالة السماء عليه وهو في البلد الأمين مكة المكرمة فزادها الله تعظيما وتشريفا ومن مكة المكرمة التى شرفها الله تعالى بنبيه العظيم خرجت البشرى وأضاء النور أرجاء الأرض بمشرق الرسالة السماوية رسالة النور والعدل والإيمان رسالة الاسلام . لتهدى الناس إلى الطريق المستقيم ولكن أنّى يكون لهؤلاء الأعراب الأجلاف أن يومنوا ويهتدوا بهذا الهدى السماوى وقد تعطلت عقولهم واستباحوا لأنفسهم الشهوات واللذات وعبادة الأوثان التى لاتنفع ولا تضر . وكيف يهتدون بهدى الاسلام وقد جاء به محمد عليه الصلاة والسلام وكأنهم يقولون بالأمس خضعنا لقصى ابن كلاب وولى فينا السقاية والرفادة والسدانة والملك واليوم يخرج من أصلابهم نبى هذه الأمة المنتظر ؟ لا . لا . لن يكون هذا وليكن عداء سافرا بيننا وبين محمد وأخذتهم العزة بالإثم حتى أن أبا لهب عم رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقف عند الصفا ليستمع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أمره الله تعالى بنشر الدعوة علانية ليقول له : «تبت يداك يا محمد !!

عن ابن عباس قال : لما أنزل الله عز وجل «وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقل إني أنا النذير المبين» قال : «أتى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى «يا صباحاه» فاجتمع الناس إليه بين رجل يجئ إليه وبين رجل يبعث رسوله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا بنى عبد المطلب . يا بنى فهر . يا بنى لؤى ، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح الجبل تريد أن تغير عليكم ، صدقتموني؟» قالوا : نعم . قال : فإني نذير بين يدى عذاب شديد» فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم !! أما دعوتنا إلا لهذا فأنزل الله عز وجل «تبت يدا أبي لهب وتب» (رواه أحمد والبخارى ومسلم وغيرهم) .

تشريف مكة المكرمة بالاسراء والمعراج

عن ابن شهاب : قال أنس بن مالك :

«كان أبي بن كعب يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «فرج سقف بيتى وأنا بمكة ، فنزل جبريل ، ففرج صدرى ، ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطشت من ذهب ، ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري ، ثم أطبقه ثم أخذ بيدى ، فعرج بى إلى السماء ، فلما جاء السماء الدنيا ، فافتتح ، فقال : من هذا ؟ قال : جبريل ، قال : هل معك أحد ؟ قال : نعم معى محمد ، قال أرسل إليه ؟ قال نعم ، ففتح ، فلما علونا السماء الدنيا ، إذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة ، وإذا نظر

قبل يمينه تبسم ، وإذا نظر قبل يساره بكى ، قال : مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح ، قال : قلت لجبريل عليه السلام . من هذا ؟ قال : هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسمُ بنيه ، فأهل اليمين هم أهل الجنة والأسودة التى عن شماله أهل النار ، فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى . قال : ثم عرج بى جبريل حتى جاوز السماء الثانية ، فقال لخازنها افتح ، فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ، ففتح له »

قال أنس بن مالك : فذكر أنه وجد فى السماوات ، آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم عليهم الصلاة والسلام ، ولم يثبت لى كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم فى السماء الدنيا ، وإبراهيم فى السماء السادسة ، قال أنس : فلما مر جبريل عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم بإدريس ، قال : مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح . قلت : من هذا ؟ قال : هذا إدريس ، قال : ثم مررت بموسى ، فقال : مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح ، قلت : من هذا ؟ قال : هذا موسى ، ثم مررت بعيسى ، فقال : مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح ، قلت من هذا ؟ قال : هذا عيسى بن مريم ، قال ثم مررت بإبراهيم ، فقال : مرحبا بالنبى الصالح والإبن الصالح ، قلت : من هذا ؟ قال : هذا إبراهيم عليه السلام » قال ابن شهاب : وأخبرنى ابن حزم ، أن ابن عباس وأبا حية الأنصارى يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع صريف الأقلام » قال ابن حزم وأنس بن مالك : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فرض الله تبارك وتعالى على أمتى خمسين صلاة . قال : فرجعت بذلك حتى أمر على موسى عليه السلام ، فقال : ماذا فرض ربك تبارك

وتعالى على أمتك ؟ قلت : فرض عليهم خمسين صلاة ، فقال لى موسى عليه السلام : راجع ربك تبارك وتعالى ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ، قال : فراجعت ربى عز وجل ، فوضع شطرها ، فرجعت إلى موسى فأخبرته فقال : راجع ربك ، فإن أمتك لا تطيق ذالك ، قال : فراجعت ربى عز وجل ، قال : فراجعت ربى عز وجل ، فقال : هى خمس وهى خمسون ، لا يبدل القول لدى ، قال : فرجعت إلى موسى عليه السلام ، فقال : راجع ربك ، فقلت : قد استحييت من ربى تبارك وتعالى ، قال : ثم انطلق بى ، حتى أتى بى سدرة المنتهى قال : فغشيها ألوان ما أدرى ماهى ، قال : ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك » . رواه أحمد ومسلم

(الفتح الربانى جـ ٢٠ ص ٤٩) .

أثر حادث الاسراء والمعراج بمكة

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما كانت ليلة أسرى بى وأصبحت بمكة ، فظعت أمرى ، وعرفت أن الناس مكذبى » فقعد معتزلًا حزينا . قال : فمر عدو الله أبو جهل ، فجاء حتى جلس إليه ، فقال له كالمستهزئ : هل كان من شيء ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال : ما هو ؟ قال : إنه أسرى بى الليلة ، قال : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس ، قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : نعم ، قال : فلم ير أنه يكذبه مخافة أن يجحده الحديث إذا دعا قومه إليه ! قال : أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتنى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، فقال : هيا يا معشر بنى كعب بن لؤى ، قال : فانتفضت إليه المجالس ، وجاءوا حتى جلسوا إليهما ، قال : حدث قومك بما حدثتنى ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ! إنى أُسرى بى الليلة ، قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس ، قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : نعم ، قال : فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبا للكذب !! زعم ، قالوا : وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد ؟ وفى القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فذهبت أنعت ، فما زلت أنعت حتى التبس على بعض النعت ، قال : فجىء بالمسجد وأنا أنظر حتى وضع دون دار عقال أو عقيل ، فنعته وأنا أنظر إليه ، قال : وكان مع هذا نعت لم أحفظه » قال : فقال القوم : أما النعت فوالله لقد أصاب » .

«رواه أحمد والبزاز والطبرانى فى الكبير وفى الأوسط. (الفتح الربانى ج ٢٠ ص ٢٦٢) .

روى مسلم عن أبى هريرة – رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى ، فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها ، أى لم أكن أثبت صورتها فى ذهنى وفكرى لاشتغاله بما هو أهم منها ، فكربت كربًا لم أكرب مثله قط ، فرفعه الله لى أنظر إليه ، فما سألونى عن شئ إلا أنبأتهم به ، فآمن من آمن وأنكر من أنكر » .

الفصل الثامن

هجرة الرسول من مكة إلى المدينة

لقد شرف الله تعالى مكة المكرمة بنزول الوحى على نبيه ورسوله الأمين سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبالرغم من تلك المعجزات الكبرى التى شهدتها مكة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كذبوه وآذوه وحرضوا ضده وأوعزوا بسبه وضربه حتى لاقى مالاقى وهو صابر على هذا العداء السافر لا لشخصه ولكن للدين الله الذى ارتضاه ليختتم به رسلات السماء وبالرغم من إسلام أعز فتيان قريش وأقواهم أمثال الحمزة وعمر بن الخطاب وسعد بن أبى وقاص وما لازم إسلامهم من حوادث اهتزت لها قريش وكان يتزعم هذا العداء أبو جهل وأبو سفيان وغيرهم حتى تجمعوا وتكتلوا ضده وضد بنى هاشم فى حلف ظالم كله تعنت وتعسف وجور وطغيان وتعاهدوا ضد الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه وأمهلهم الله سبحانه وتعالى حتى يثوبوا إلى رشدهم ويتدبروا أمورهم قبل أن تنزل عليهم لعنة السماء ولكن أنى يكون لهم ذلك وقد أعماهم الضلال عن التمييز بين دين الحق وعبادة الأصنام ولاقى الرسول الكريم مالاقى من هذا الإيذاء حتى هاجر أصحابه من المسلمين إلى الحبشة هربا من التعذيب والضرب والتشريد وكان ذلك سنة خمس من النبوة . وانتهز رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوم القبائل إلى مكة فى موسم الحج وعرض عليهم الهداية بقوله « أيها الناس : قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا » وهاهو رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض دعوته

على فتية بنى عبد الأشهل من المدينة ويقول لهم : « هل لكم إلى خير مما جئتم له ؟ قالوا وما ذاك ؟ قال : أنا رسول الله بعثنى إلي العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله لا يشركوا به شيئا وأنزل عليّ كتابا وتلا عليهم القرآن فقام بينهم اياس بن معاذ وقال : أى قوم ، هذا والله خير مما جئتم له

وفى العام التالى بويع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة الأولى :

عن عبادة بن الصامت قال :

« كنت فيمن حضر العقبة الأولى . وكنا إثنى عشر رجلا ، فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض الحرب ! على ألا نشرك بالله شيئا ، ولانسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجانا ، ولا نعصيه فى معروف ، فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئا ، فأمركم إلى الله إن شاء عذبكم وإن شاء غفر لكم » .

(رواه أحمد والبخارى ومسلم وغيرهم (الفتح الربانى ج ٢٠ ص ٢٦٨)

ثم حدثت بيعة العقبة الثانية وكانت بداية الاستعداد للهجرة النبوية الشريفة من مكة إلى يثرب (المدينة المنورة) .

عن يزيد ، عن أبى بردة جده ، عن أبى موسى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « رأيت في المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهلى إلى أنها اليمامة أو هجر « مدينة معروفة » فإذا هى المدينة « يثرب » ورأيت في رؤياى هذه أنى هززت سيفا فانقطع صدره ، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ، ثم هززته أخرى فعاد

وأحسن ماكان ، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح ، واجتماع المؤمنين ، ورأيت فيها أيضا يقرأ والله خير ، فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد ، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير بعد ، وثواب الصدق الذى آتانا الله به بعد يوم بدر » .

(رواه مسلم والبخارى) .

وعن البراء بن عازب يقول (أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مصعب بن عمير ، وابن أم مكتوم قال : فجعلا يقرئان الناس القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد . قال : ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ، ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشئ قط فرحهم به ، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون (هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء ، قال : فما قدم حتى قرأت : «سبح اسم ربك الأعلى» (رواه أحمد والبخارى ومسلم) .

مؤامرة قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن ابن عباس ، في قوله تعالى : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك » قال : تشاورت قريش ليلة بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح . فأثبتوه بالوثائق يريدون النبى صلى الله عليه وسلم – وقال بعضهم : بل اقتلوه ، وقال بعضهم : بل اخرجوه ، فاطلع الله عز وجل نبيه على ذلك فبات علىّ في فراش النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ، وخرج النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى لحق بالغار (غار ثور) وبات المشركون يحرسون عليا ء يحسبونه النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما أصبحوا ثاروا إليه !! فلما رأوا

عليا ، رد الله مكرهم ، فقالوا : أين صاحبك هذا ؟ قال : لا أدرى . فاقتصوا أثره : فلما بلغوا الجبل ، خلط عليهم فصعدوا فى الجبل ، فمروا بالغار ، فرأوا على بابه نسيج العنكبوت فقالوا : لو دخل ها هنا لم يكن نسيج العنكبوت على بابه . فمكث فيه ثلاث ليال »

قدوم النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة

عن أنس بن مالك قال :

« لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم ، نزل فى علو المدينة ، فى حى يقال لها بنو عمرو بن عون ، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ، ثم إنه أرسل إلى ملإ بنى النجار ، قال : فجاءوا متقلدين سيوفهم . قال : فكأنى أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ردفه ، وملأ بنى النجار حوله ، حتى ألقى بفناء أبى أيوب قال : فكان يصلى حيث أدركته الصلاة ، ويصلى فى مرابض الغنم ، ثم أمر بالمسجد ، فأرسل إلى ملإ بنى النجار فجاءوا فقال : « يا بنى النجار ، ثامنونى حائطكم هذا » فقالوا : والله لانطلب ثمنه إلا إلى الله قال : وكان ما أقول لكم ، كانت فيه قبور المشركين ، وكان فيه حرث ، وكان فيه نخل ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين . فنبشت وبالحرث فسويت وبالنخل فقطع . قال : فصفوا النخل إلى قبلة المسجد . وجعلوا عضادتيه حجارة قال : وجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم يقول « اللهم لاخير إلا خير الآخرة ، فارحم الأنصار والمهاجرة » وقال الزهرى : بركت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موضع مسجده وهو يومئذ مصلى يصلى فيه رجال من المسلمين ، وكان مربداً لسهل وسهيل غلامين يتيمين من

الأنصار ، وكانا فى حجر أسعد بن زرارة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فقالا : بل نهبه لك يا رسول الله فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير وكان جدارا ليس له سقف وقبلته إلى بيت المقدس .

وقال الحافظ الذهبى : هذه القبلة كانت فى شمال المسجد : لأنه عليه السلام صلى سبعة عشر شهرا إلى بيت المقدس . فلما حولت القبلة بقى حائط القبلة الأولى مكان أهل الصفة » .

تشريف مكة بتحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة

عن البراء بن عازب :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو أخواله من الأنصار ، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا ، وكان يعجبه أن تكون قبلته البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر ، وصلى معه القوم ، فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد ، وهم راكعون فقال : أشهد بالله ، لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة ، قال : فداروا كما هم قبل البيت ، وكان يعجبه أن يحول قبل البيت ، وكان اليهود قد أعجبهم ، إذ كان يصلى قبل بيت المقدس ، وأهل الكتاب ، فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك . (أخرجه أحمد والبخارى ومسلم)

ثبت تاريخيا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصل المدينة فى شهر ربيع الأول وكان تحويل القبلة فى نصف شهر رجب من السنة الثانية .

وقيل تحويلها كان فى جمادى الأُخرى وقيل يوم الثلاثاء فى نصف شعبان والصحيح أيضا أن التحويل تم فى صلاة العصر بنزول الآية الكريمة (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) .

وقوله تعالى : «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون » .

وفى سورة البقرة الآية ١٥٠ أيضا : «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، لئلا يكون للناس عليكم حجة ، إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى ولأُتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون» .

وفى سورة البقرة ١٤٢ ، ١٤٣ «سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، وكذلك جعلناكم أُمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ، وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ، وما كان الله ليضيع ايمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم » .

الفصل التاسع

فتح مكة المكرمة

اشتاق المهاجرون إلى الطواف ببيت الله المعظم ذلكم البيت المعمور الذى اعتادوا أن يطوفوا به قبل الاسلام لأنه بيت الله المعظم الذى بناه سيدنا الخليل إبراهيم ونبى الله إسماعيل عليهما السلام ، وهفت القلوب بعد غيبة دامت ستة أعوام إلى رؤية الكعبة المشرفة . وكتموا هذا الأمر فى نفوسهم . ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظر الوقت المعلوم ليأتيه الإذن من رب العالمين بالخروج إلى مكة . وفى صبيحة يوم مبارك هو يوم الإثنين مستهل ذى القعدة سنة ست هجرية خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا يسوق الهدى أمامه ومن خلفه المهاجرون والأنصار يرددون التكبير والتلبية أن : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك ، لاشريك لك ، قاصداً مكة المكرمة لأداء العمرة ولم يكن فرض الحج قد فرض بعد على المسلمين . ولما وصل ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مشارف مكة المكرمة وعند منطقة تسمى « الحديبية » نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صحبه البررة الأكرمين . وبينما هم عند هذا المنزل إذ جاءهم بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من قومه فقال : إنى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا أعلى مياه الحديبية ، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا لم نجئ لقتال أحد ، ولكنا جئنا معتمرين ، وإن

قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم ، فإن شاءوا ماددتهم مدة ، ويخلو بيني وبين الناس ، فإن أظهر ، فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ، وإلا فقد جموا ، وإن هم أبوا ، فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى ، ولينفذن الله أمره » فقال بديل بن ورقاء الخزاعى : سأبلغهم ما تقول : وانطلق بديل حتى أتى قريشا وحدثهم عليهم مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ودارت مناقشات طويلة فى منتدياتهم وأخذت قريش العزة بالإثم ورفضوا أن يخلوا بين محمد والبيت الحرام وتدخل الوسطاء لإنهاء هذا النزاع صلحا وجاء سهيل بن عمرو مفوضا من قريش لعقد الصلح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتبت وثيقة المعاهدة التى سميت « صلح الحديبية » واتفق على أن يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة دون أن يدخل مكة لعامه هذا وأن يدخلها وصحبه فى العام القابل معتمرين ويمكثون فى مكة ثلاثة أيام ثم يغادرونها إلى المدينة . وبعض شروط أخرى وجد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنها قاسية لا تتفق وكرامتهم وهم أصحاب الحق فى البيت الحرام لأنهم المسلمون وقريش تعبد الأصنام من دون الله سبحانه وتعالى وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يانبىّ الله ، ألست بنبى الله حقا ؟ قال : «بلى» ، قال عمر : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : « بلى » . قال عمر : فلم نعطى الدنية فى ديننا إذن ؟ قال : إنى رسول الله ، ولست أعصيه وهو ناصرى » فقال عمر : أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلى ، أنا أخبرتك أنك تأتيه العام ؟ قال عمر : لا . قال النبى عليه الصلاة والسلام « فإنك آتيه ومطوف به » وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحر بدنة وحلق تحللا من إحرامه

بالعمرة التي لم تتم لظرف خارج عن إرادته وهو حصول الصلح بينه وبين قريش ، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .

عن البراء بن عازب رضى الله عنه . أنهم كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ألفا وأربعمائة أو أكثر ، نزلوا على بئر فنزحوها . أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى البئر وقعد على شفيرها . ثم قال : «إيتونى بدلو من مائها» فأتى به ، فدعا ، ثم قال : «دعوها ساعة» فأرووا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا» رواه البخارى .

عمرة القضاء

عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرج معتمرا ، فحال كفار قريش بينه وبين البيت ، فنحر هديه ، وحلق رأسه بالحديبية ، وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل ، ولا يحمل سلاحا عليهم ولا سيوفا ، ولا يقيم بها إلا ما أحبو ، فاعتمر فى العام المقبل ، فدخلها كما كان صالحهم ، فلما أن قام بها ثلاثا أمروه أن يخرج فخرج وروى أن خروجه عليه الصلاة والسلام لعمرة القضاء كان من المدينة من ذى القعدة من العام السابع للهجرة وقيل أنها سميت عمرة القصاص

عن هشام عن أبيه قال :

لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فبلغ ذلك قريشا خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام . وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاقبلوا يسيرون حتى أتوا مر الظهران

فإذاهم بنيران كأنها نيران عرفة . فقال أبو سفيان ما هذه ؟ لكأنها نيران عرفة . فقال بديل بن ورقاء ! نيران بنى عمرو ، فقال أبو سفيان : عمرو أقل من ذلك . فرآهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركوهم فأخذوهم ، فأتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم أبو سفيان ، فلما سار قال للعباس : «احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين» فحبسه العباس ، فجعلت القبائل تمر مع النبي صلى الله عليه وسلم ، تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان ، فمرت كتيبة . قال : يا عباس من هذه : قال : هذه غفار قال مالي ولغفار : ثم مرت جهينة . قال مثل ذلك ثم مرت سعد بن هذيم فقال مثل ذلك ، ثم مرت سليم قال هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية . فقال سعد بن عبادة يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة . فقال أبو سفيان : يا عباس حبذا يوم الزمار . ثم جاءت كتيبة وهى أقل الكتائب فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وراية النبي صلى الله عليه وسلم مع الزبير ابن العوام فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان . قال ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة ؟ قال ما قال ؟ قال كذا وكذا فقال : «كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة» قال وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إن رايته بالحجون قال عروة أخبرني نافع بن جبير بن مطعم قال : سمعت العباس يقول للزبير بن العوام يا أبا عبيد الله . ههنا أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز الراية . قال : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء ، ودخل النبي صلى الله عليه وسلم من كدى فقتل من خيل خالد يومئذ رجلان : حبيش بن الأشعر وكرز بن جابر الفهدى .

خطبة الرسول عليه السلام بمكة عام الفتح

عن أبي شريح الخزاعي ثم الكعبي ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال وأذن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فى قتال بنى بكر حتى أصبنا منهم ثأرنا . وهو بمكة ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برفع السيف ، فلقى رهط منا الغد رجلا من هذيل فى الحرم يؤم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلم ، وكان له وترهم فى الجاهلية وكانوا يطلبونه فقتلوه وبادروا قبل أن يخلص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيأمر بعدم قتله فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب غضبا شديدا ، والله ما رأيته غضب غضبا أشد منه فسعينا إلى أبي بكر وعلى رضى الله عنهما نستشفعهما وخشينا أن نكون قد هلكنا فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قام : فأثنى على الله عز وجل بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد فإن الله عز وجل هو حرم مكة ولم يحرمها الناس ، وإنما أحلها لى ساعة من النهار أمس ، وهى اليوم حرام ، كما حرمها الله عز وجل. ثلاثة : رجل قتل فيها ، ورجل قتل غير قاتله ، ورجل حلف بزحل فى الجاهلية . وإنى والله لأدين هذا الرجل الذى قتلتم فواره رسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه أحمد واللفظ له ورواه البخارى

بيعة اهل مكة رجالا ونساء

عن عبد الله بن عثمان بن جشم ، أن محمد بن الأسود بن خلف أخبر أن أباه الأسود رآى النبى صلى الله عليه وسلم يبايع الناس يوم الفتح ، قال : جلس عند قرن مسقلة فبايع الناس على الإسلام والشهادة ، قال

وقلت : ما الشهادة ؟ قال : أخبرنى محمد بن الأسود بن خلف . أنه بايعهم على الإيمان بالله . وشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم فكنت أقول كما يقولون .

رواه أحمد . (الفتح الربانى ج ٢١ ص ١٦٣) .

عن عائشة بنت قدامة قالت :

إنا مع أمى رائطة بنت سفيان الخزاعية ، والنبى صلى الله عليه وسلم يبايع النسوة ويقول : « أبايعكم على ألا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن . ولا تعصين فى معروف » قالت : فأطرقن فقال لهن النبى صلى الله عليه وسلم : « قلن » نعم فيما استطعن » فكن يقلن وأقول معهن ، وأمى تلقننى : أى بنيه فيما استطعت) .

رواه أحمد (الفتح الربانى ج ٢١ ص ١٦٤) .

تطهير الكعبة من الأصنام

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلثمائة نصب فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد » .

الفصل العاشر

الحج

الحج فريضة على كل مسلم حر عاقل بالغ قادر والقدرة معناها الاستطاعة ولذا اختلف علماء المسلمين فمنهم من قال انه فريضة على الفور واجبة الأداء بمجرد الاستطاعة ، ومنهم من قال انه فريضة على التراخي ، والحج الركن الخامس من أركان الإسلام ، فرض الحج فى العمر مرة واحدة لقوله تعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » .

وفى القرآن الكريم آيات بينات عن الحج ومناسكه ومواقيته لقوله تعالى :

١ - « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » .

(سورة آل عمران ٩٦-٩٧)

٢ - « الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولافسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب » .

(سورة البقرة الآية ١٩٧)

٣ - « وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ، ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله ، فمن كان منكم مريضا أوبه

أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ، فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ، ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام ، واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب » .

(سورة البقرة ١٩٦)

٤ ـ « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ، فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين » (سورة البقرة ١٩٨) .

٥ ـ « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ، فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا »

(البقرة ١٩٩ ، ٢٠٠)

٦ ـ « واذكروا الله فى أيام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى ، واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون »

(سورة البقرة ٢٠٣)

٧ ـ « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود » (سورة البقرة ١٢٥) .

٨ ـ « إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم » .

(سورة البقرة ١٥٨)

٩ _ « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً ليذرق وبال أمره ، عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه ، والله عزيز ذو انتقام » .

(سورة المائدة ٩٥)

١٠ _ « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً واتقوا الله الذى إليه تحشرون » .

(سورة المائدة ٩٦)

١١ _ « وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ألا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود ، وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » (سورة الحج ٢٦ _ ٢٩) .

١٢ _ « ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ، حنفاء لله غير مشركين به ، ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب » (سورة الحج ٣٠ _ ٣٢) .

١٣ _ « والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير ، فاذكروا

اسم الله عليها صواف ، فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر ، كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون » (سورة الحج ٣٦) .

١٤ ــ « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » (سورة البقرة) .

١٥ ــ « وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام ، رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم ، ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » (سورة إبراهيم) .

ومن الاحاديث النبوية

١ ــ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا » فقال رجل : أكل عام يا رسول الله فسكت عليه الصلاة والسلام حتى قالها ثلاثا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم » .

٢ ــ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاث : بيت الله الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى » .

٣ ــ روى النسائى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « جهاد الكبير والضعيف والمرأة الحج والعمرة » .

٤ ــ وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » .

رواه البخارى ومسلم

٥ ـ وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الحجاج والعمار وفدالله إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم » .

٦ ـ وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

٧ ـ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعجلوا الحج ـ فإن أحدكم لايدرى ما يعرض له » .

٨ ـ روى ابن حبان عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الحاج حين يخرج من بيته لم يخط خطوة إلا كتب الله له بها حسنة وحط عنه بها خطيئة ، فإذا وقف الحجاج بعرفات باهى الله تعالى بهم ملائكته يقول «أنظروا إلى عبادى أتونى شعثا غبرًا أشهدكم أنى غفرت ذنوبهم وإن كانت عدد قطر السماء ورمل عالج » .

٩ ـ روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من حج حجة أدى فرضه ، ومن حج الثانية فقد داين ربه ، ومن حج الثالثة حرم الله جسده على النار » .

١٠ ـ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه أن امرأة من جهينة جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إن أمى نذرت أن تحج ، ولم تحج حتى ماتت ، أفأحج عنها ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، حجى عنها أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ أقضوا الله فالله أحق بالوفاء »

اركان الحج وشروطه وسننه

مناسك الحج لها أركان وشروط وترك أحد هذه الأركان أو الشروط يفسد الحج سواء كان الترك عمدا أو سهوًا ، فإن الدم لا يجبر ترك ركن أو شرط وقد اختلف الأئمة الأربعة فى بعض المناسك فمنهم من اعتبرها ركنا ومنهم من اعتبرها شروطا وسنتكلم عن الأركان والشروط ورأى الأئمة الأربعة فيهما : ـ

اولا ـ الاحـرام

ركن من أركان الحج عند المالكى والشافعى وابن حنبل وشرط عند أبى حنيفة ولا خلاف فى المذاهب الأربعة من أن ترك الاحرام على أنه ركن أو شرط يفسد الحج سواء كان الترك عمدا أو سهوا .

ويدخل ضمن الاحرام «النية» وهو نية دخول المحرم فى الحج ووجوب النية شرط وركن حتى يمكن تحديد ما قصده المحرم من إحرامه ، أهو للحج مفردًا أو للعمرة ضمنًا أم للحج والعمرة قارنا .

والمشهور عند الحنفية أن الاحرام هو النية مع التلبية أو ما يقوم مقامها من الأفعال الخاصة به لأن الاحرام عقد على الأداء فلا بد فيه من ذكر ، والذكر هنا هو التلبية ، وقد ذهب مالك والشافعى وأحمد وأبو يوسف إلى أن الإحرام التزام الكف عن المحظورات فيصير شارعًا فيه بمجرد

النية كالصوم . وذهب المالكية وعليه قول ابن حبيب رضى الله عنهما : أن التلبية شرط فى الاحرام كتكبيرة الإحرام فى الصلاة ، وذهب بعضهم أنه التجرد مما يتوقف عليه صحة الإحرام .

سنن الاحـــرام

ا ـ إزالة شعر الإبط والعانة وحلق الشعر أو تقصيره بالنسبة للرأس والشارب واللحية .

ب ـ الاغتسال بنية الإحرام وهو التطهر من الحدثين الأكبر والأصغر .

حـ ـ تجرد المحرم من الثياب أى المخيط بخياطة أو نسج كالسراويل والقمصان والأحذية .

د ـ ارتداء إزار من قطعتين كبشكيرين أحدهما يلف حول الوسط لستر العورة والثانى لتغطية الصدر والظهر .

هـ ـ صلاة ركعتين بعد الغسل وقبل الاحرام بنية الاحرام .

و ـ التلبية مجرد الدخول فى الإحرام « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .

محظورات الاحـرام .

١ ـ لبس الرجل مخيطًا بأى عضو من أعضائه بخياطة كالقميص أو السراويل . والقفاز والخف والأحذية أو ذهب أو فضة كالخواتم مثلا

٢ ـ تغطية الرأس بأى نوع من أنواع الغطاء كالقلنسوة أو الطاقية أو ربط منديل على الرأس .

٣ ـ ستر وجه الرجل بأى نوع كالكوفية مثلا . .

٤ ـ التحلى بسيف أو خنجر مالم يكن للضرورة .

٥ ـ التطيب بأى نوع من أنواع العطور أو الدهون أو الروائح سواء في ملبسه أو فى طعامه أو في شرابه .

٦ ـ قتل الحيوانات أو الحشرات أو قطع النبات والشجر بالحرم .

٧ ـ إتيان النساء ، الجماع والإنزال ومقدماته ولو علمت السلامة من المنى أو المذى .

٨ ـ عقد النكاح فى فترة الإحرام ونوم المحرم فى فراش عليه طيب .

٩ ـ استعمال الكحل والتضمخ بالحناء ولغير الضرورة .

١٠ ـ إزالة الشعر لغير عذر عن البدن مطلقا بحلق أو نتف وكذا تقليم الأظافر ، إن تساقط الشعر فى حالة الوضوء أو الغسل فجائز مع التصدق .

١١ ـ التعرض للحيوانات البرية بالصيد ، والصيد بجميع أنواعه محظور عدا صيد البحر فهو جائز شرعا وكذا أكله .

احرام المرأة

ركن للحج والعمرة : وتختلف عن الرجل فى ملابس الإحرام فقط. وللمرأة أن تلبس من الملابس ما تشاء ولها أن تغطى رأسها وتكون الملابس طويلة تغطى الزراعين والكفين وتغطى كعبى القدمين .

وأن يكون وجهها سافرًا ولا تضع عليه أى غطاء من أى نوع وكذا محظور عليها لبس قفاز فى اليد ومحظورات الإحرام للمرأة كالرجل. فلا يجوز لها التطيب بالعطور أو قص الأظافر أو الشعر .... الخ .

التحلل من الاحرام

يتحلل المحرم من إحرامه سواء الرجل أو المرأة بالحلق أو التقصير أو النتف لبعض الشعيرات من الرأس ويكون تحلل المحرم بالحج بعد رجم جمرة العقبة الكبرى أول أيام العيد وكذا المحرم بالحج والعمرة معا ، ويكون تحلل المحرم بالعمرة بعد تمام السعي .

أنواع الحج

الافراد : أن يحرم الشخص بالحج فقط. وهو الأفضل حيث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحرم بالحج فى حجه الأكبر حجة الوداع — وشروطه أن يتمم الاحرام بالحج فى أشهر الحج ويبدأ من أول أيام عيد الفطر أى بعد فجر اليوم الأول من شوال وحتى اليوم التاسع من ذى الحجة . وفى هذه الحالة يظل المحرم على إحرامه منذ الاحرام وحتى رمى جمرة العقبة الكبرى أول أيام العيد الأكبر أى اليوم العاشر من ذى الحجة ويسمى هذا بالتحلل الأصغر ويجوز له لبس الثياب والاستحمام عدا النكاح وإتيان النساء فلا يجوز له ذلك إلا بعد التحلل الأكبر وهو طواف الإفاضة — والافراد بالحج لاهدى فيه أى ليس على المحرم بحج ذبح هدى إلا أن يكون تطوعًا منه .

القران : هو أن يحرم الحاج قارنا العمرة مع الحج كأن يقول (لبيك اللهم عمرة وحجا) وهى كالافراد فيما يتعلق ببقاء القارن على إحرامه حتى يوم النحر وبعد رمى جمرة العقبة الكبرى وعلى القارن ذبح الهدى لقرانه العمرة مع الحج . وعلى القارن طوافين : طواف القدوم ، وطواف الإفاضة .

وهو ما يسمى بالتمتع ، لأن الإحرام بالعمرة فقط في أشهر الحج أى من أول شوال وحتى العيد الأكبر يستلزم طواف العمرة والسعى ثم التحلل من الإحرام ، والتمتع فى الفترة الزمنية السابقة على يوم الحج ثم إعادة الإحرام بالحج فى اليوم الثامن من ذى الحجة ... ونظير هذا التمتع وجب الهدى وحكم الهدى هنا كما سبق أن قلنا النحر بعد رمى جمرة العقبة الكبرى أول أيام العيد . وذلك لقوله تعالى « فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى » .

راى المذاهب فى التمتع

عند المالكية يكون التحلل من العمرة فى أشهر الحج سواء أحرم بالعمرة فى أشهره التى أولها شوال أو أحرم قبلها وأتمها فيها ثم يحج من عامه الذى اعتمر فيه وعليه هدى لتمتعه وإسقاط أحد السفرين ، وقيس القران عليه بجامع أن فى كل إسقاط أحد السفرين عن نفسه :

وعند الشافعية يكون متمتعا ولو أحرم بالحج فى غير عامه بأن فرغ من العمرة قبل حلول شهر شوال وأحرم بالحج فى أشهره . وعليه الهدى .

وعند الحنابلة يشترطون للتمتع أن يحرم بالعمرة فى أشهر الحج وأحرم بالحج فى عامه أى فى نفس السنة التى أحرم فيها بالعمرة وعليه الهدى .

وعند الحنفية أن يفعل العمرة أو أكثر أشواطها فى أشهر الحج ويطوف ويسعى ويحلق ثم يحرم بالحج فى سفر واحد فلو طاف الأقل فى رمضان مثلا ثم طاف الباقى فى شوال ثم حج من عامه كان متمتعا ووجب الهدى .

وعند المالكية أيضا يشترط لزوم الهدى فى حالتى القران والتمتع أن يكون القارن أو المتمتع ليس من أهل مكة أى مقيما بها أو ذى طوى وقت الإحرام لقوله تعالى : « لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام ». فالمقيم بمكة أو بذى طوى وقت فعلهما لا يلزمه هدى وإن كان متمتعا .

وعند الحنفية مخالفة ما قال به المالكية فالهدي واجب فى القران والتمتع لمقيم بمكة أو ذى طوى أو بغيرهما لقوله تعالى : (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى) .

مواقيت الحج والعمرة

١ ـ الميقات الزمانى :

الميقات الزمانى للإحرام بالحج من أول ليلة عيد الفطر إلى ما قبل فجر يوم النحر بما يسع الوقوف بعرفة ، فمن أحرم قبل فجر يوم النحر وهو بعرفة ولو بلحظة فقد أدرك الحج وبقى عليه طواف الإفاضة وسعى الحج .

والعمرة ليس لها ميقات زمانى لأنها جائزة طوال أشهر العام ، إلا إذا أحرم بها فى أشهر الحج وأدخل عليها الحج من نفس العام سميت عمرة تمتع ووجب فيها الهدى . وأفضل الأشهر للإحرام بالعمرة هو شهر رمضان المعظم لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « عمرة فى رمضان تعدل حجة »

٢ ـ المواقيت المكانية :

١ ـ الإحرام بالعمرة أو الحج بمكة مستوطنا أولا مكة والأفضل من الحرم أو من بيته ، ولأهل منى والمزدلفة الاحرام من مسجد منى أو المزدلفة أو من منزله ، وللقارن من أهل مكة أومنى أو المزدلفة أن يحرم من « الحل »

وهو التنعيم خارج مكة لأنه فى حالة القران يجمع بين الحل والحرم وهو شرط فى كل إحرام .

ويرى الحنفية أنه لا قران ولا تمتع لمكى ومن فى حكمه إلا إذا خرج إلى الحل وأحرم :

والميقات المكانى للإحرام للقادمين من المدينة المنورة إلى مكة المشرفة هو :

١ - «ذو الحليفة» :

وقد أحرم بمسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وبينها وبين المدينة مسافة سبعة أميال وبها آبار على وبها مسجد وأماكن للإحرام دون مشقة ، وذو الحليفة تعتبر الميقات لأهل الشام إذا كانوا قادمين عن طريق المدينة .

٢ - رابغ :

وهى ميقات القادمين من الجمهورية العربية المتحدة بحرا أو جوا وهى مدينة على ساحل البحر الأحمر وللقادم براً قرية تسمّى «الجحفة» وهى فى طريق مكة والمدينة .

٣ - «يلملم» :

وهو اسم جبل من جبال تهامة وهو ميقات القادمين من الهند واليمن .

٤ - قرن ، «أو قرن المنازل» :

وهى ميقات القادمين من نجد .

٥ ـ ذات عِرْق :

وهى قرية على مرحلتين من مكة وهى ميقات أهل العراق وخراسان وفارس . . . . . الخ .

احاديث نبوية فى الافراد والقران والتمتع

١ ـ روى عن عبيد الله بن معاذ عن شعبة بن حميد بن هلال عن مطرف عن عمران بن حصين رضى الله عنهم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع بين حجة وعمرة ثم لم ينه عنه حتى مات ولم ينزل فيه قرآن يحرمه » .

٢ ـ وعن محمد بن المثنى عن عبد الصمد عن همام عن قتادة بن مطرف عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينزل فيه القرآن . وفى لفظ آخر (تمتع نبى الله صلى الله عليه وسلم وتمتعنا معه) . . . وفى حديث آخر عن عمران بن حصين قال : نزلت آية المتعة فى كتاب الله وأمرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . والآية الشريفة التى قصدها عمران بن حصين هى قوله تعالى : « فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى » .

٣ ـ عن عبد الملك بن شعيب بن الليث عن عقيل بن خالد بن شهاب عن سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بالعمرة إلى الحج وأهدى فساق معه الهدى من ذى الحليفة وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهل بالعمرة ثم أهل بالحج وتمتع الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالعمرة إلى الحج فكان من الناس من أهدى فساق الهدى ومنهم من لم يهد ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قال للناس من كان منكم هدى فإنه لا يحل من شئ حرم منه حتى يقضى حجه ومن لم يكن منكم أهدى فليطف بالبيت وبالصفا والمروة وليقصر وليحلل ثم ليهل بالحج وليهد ، فمن لم يجد فليصم ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة فاستلم الركن أول شئ ثم خب ثلاثة أشواط من السبعة ومشى أربعة أطواف ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ثم سلم فانصرف ، فأتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبعة أطواف ثم لم يحلل من شئ حرم منه حتى قضى حجه ونحر هديه يوم النحر وأفاض فطاف بالبيت ثم حل من كل شئ حرم منه وفعل مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنه أهدى وساق الهدى من الناس » .

٤ – وعن السيدة حفصة رضى الله عنها قالت : قلت يا رسول الله ما شأن الناس حلوا ولم تحلل أنت من عمرتك ، قال إنى لبدت رأسى وقلدت هديى فلا أحل حتى أنحر وفى لفظ آخر عن مالك وعن نافع أنها قالت : قلت للنبى صلى الله عليه وسلم ما شأن الناس حلوا ولم تحل من عمرتك قال : « إنى قلدت هديى ولبدت رأسى فلا أحل حتى أحل من الحج » وفى حديث آخر عن السيدة حفصة زوج النبى رضى الله عنها أنها قالت : أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر أزواجه أن يحللن عام حجة الوداع فقالت مايمنعك أن تحل يارسول الله : قال : إنى لبدت رأسى وقلدت هديى فلا أحل حتى أنحر هديى » .

ولبيان ذلك قال علماء والحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مفردًا الحج ثم أدخل العمرة على الحج وصار قارنا .

٥ ـ وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع قال : «لبيك عمرة وحجًّا» .

٦ ـ وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : أهلَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج فقدم لأربع مضين من ذى الحجة فصلى الصبح وقال لما صلى الصبح «من شاء أن يجعلها عمرة فليجعلها عمرة» وفي لفظ آخر لابن عباس «أمر أصحابه أن يحولوا إحرامهم بعمرة إلا من كان معه الهدى» .

وفى رواية أخرى عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «هذه عمرة استمتعنا بها فمن لم يكن عنده الهدى فليحل الحل كله فإن العمرة قد دخلت فى الحج إلى يوم القيامة» .

٧ ـ عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمر كلهن فى ذى القعدة إلا التى مع حجته ، عمرة من الحديبية أو زمن الحديبية فى ذى القعدة وعمرة من العام المقبل فى ذى القعدة وعمرة من جعرانة حيث قسم غنائم حنين فى ذى القعدة وعمرة مع حجته) .

والثابت أن فرض الحج قد نزل فى السنة التاسعة من الهجرة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر بالخروج للحج مع الناس وكان ذلك فى أوائل ذى الحجة قبل حجة الوداع وأن رسول الله صلى الله عليه

وسلم بعث معه بعشر آيات من سورة (براءة) ليقرأها على أهل مكة ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل خلفه على بن أبي طالب ليحمل عنه رسالة التبليغ وقال عليه الصلاة والسلام « جاءنى جبريل فقال : لن يؤدى عنك إلا أنت أو رجل منك » ولقد قام على كرم الله وجهه بتبليغ الآيات البينات إلى قريش وأعلنها على الناس أمام البيت المعظم روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه لقيه فى الحجة التى أمره النبي صلى الله عليه وسلم بها قبل حجة الوداع ، يوم النحر ، في رهط يؤذن فى الناس : ألا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوفن بالبيت عريان . (أخرجه البخارى)

٧ — عن يحيى بن سعيد قال : حدثنا جعفر قال حدثنى أبى قال :— « أتينا جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، وهو فى بنى سلمة ، فسألناه ، عن حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث بالمدينة تسع سنين لم يحج ، ثم أذن فى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجٌ هذا العام ، قال : فنزل المدينة بَشَرٌ كثير ، كلهم يلتمس أن يأتمّ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويفعل مثل ما يفعل ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشر بقين من ذى القعدة وخرجنا معه » .

وقيل أن عدد من حج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه فى حجة الوداع تسعين ألفا وقيل مائة وعشرون ألفًا .

٨ — عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فى الناس يوم النحر فقال : « أيها الناس : أى يوم هذا ؟قالوا :

يوم حرام ، قال: فأى بلد هذا؟ قالوا : بلد حرام ، قال :فأى شهر هذا ؟ قالوا : شهر حرام ، قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، فى بلدكم هذا ، فى شهركم هذا » فأعادها مرارًا . ثم رفع رأسه فقال : « اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت » قال ابن عباس رضى الله عنه : فوالذى نفسى بيده ، إنها لوصيته إلى أمته ، «فليبلغ الشاهد الغائب ، لاترجعوا بعدى كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض » .

(أخرجه البخارى)

كيفية الطواف

١ ـ عن نافع بن عمران أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا طاف فى الحج والعمرة أول ما يقدم فإنه يسعى ثلاثة أطواف بالبيت ، ثم يمشى أربعة ثم يصلى ركعتين ثم يسعى بين الصفا والمروة .

٢ ـ حدثنا عبد الله بن عمر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقدم مكة إذا استلم الركن الأسود أول ما يطوف حين يقدم يَخُبُّ ثلاثة أطواف ويمشى أربعة » .

السعى بين الصفا والمروة

السعى بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة عند الحنفى والشافعى والمالكى وواجب عند الحنبلى وشرط أوانه بعد الطواف بالكعبة . ويبدأ السعى من الصفا وهو مكان مرتفع قليلا فيستقبل الحاج الكعبة ويكبر ثلاثا ويقول : اللهم انى نويت السعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط فتقبلها يا إلهى ويسرها لى ، ثم يتجه إلى المروة وهى مكان مرتفع

فى مقابلة الصفا والمسافة بينهما حوالى خمسمائة متر تقريبا وفى وسط الطريق علامتان خضراوتان يستحب الهرولة بينهما ، والدعاء مستجاب أثناء السعى . ولقد اهتمت الحكومة السعودية بتوسيع المسعى فجعلت عرضه ثلاثين مترا مقسمة إلى قسمين طولا للذهاب والاياب ويجوز السعى بالسيارة أو بالعربات ، ويستحب أن يكون السعى على طهارة .

ويقول الله تعالى فى محكم كتابه الكريم : « إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يَطَّوَّف بهما ومن تطوع خيرًا فإن الله شاكر عليم » .

المبيت بمنى فى اليوم الثامن من ذى الحجة

إذا كنت محرما بالحج فى صباح اليوم الثامن من ذى الحجة فاذهب إلى منى وهى تبعد عن مكة حوالى سبعة كيلو مترات وصل هناك الظهر والعصر والمغرب والعشاء وفجر اليوم التاسع وأنت على إحرامك بالحج وتكون صلاتك بها قصرًا وتستحب الصلاة فى مسجد الخيف وهو مسجد كبير بمنى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

الوقوف بعرفة

بعد صلاة فجر اليوم التاسع بمنى اتجه إلى عرفة للوقوف بها اليوم التاسع وإلى ما بعد الغروب ، وعرفة مكان فسيح الأرجاء فيه مسجد نمرة ويتسع لجميع الحجاج وقد رصفت الحكومة السعودية شوارعها ومدت أسلاك الكهرباء وأقامت دورات مياه ، ويسن صلاة الظهر والعصر قصرا جمع تقديم فوق عرفة كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وادع ما شاء الله لك من الدعاء وأفضل دعاء ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم

« لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، اللهم اجعل فى قلبى نوراً وفى سمعى نوراً وفى بصرى نوراً ويسر لى أمرى » .

والتلبية واجبة عند ذهابك من منى إلى عرفة . عن عبد الله بن عمر قال : «غدونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من منى إلى عرفات منّا الملبى ومنا المكبر» . وعرفة كلها موقف والوقوف ركن فى المذاهب الأربعة ويفسد الحج بدونه وصحة الوقوف شطر من نهار اليوم التاسع من ذى الحجة وشطر من ليله .

المزدلفة

يفيض الحاج من عرفات بعد الغروب قاصداً المزدلفة وهى فضاء فسيح لابناء فيه إلا المشعر الحرام وهو مسجد مرتفع عن الأرض وفى وسطه منارة بيضاء ، ويسن المبيت بالمزدلفة ليلة العاشر من ذى الحجة وصلاة المغرب والعشاء بها قصراً جمع تأخير كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والدعاء بهذا المشعر مجاب ، ويسن جمع الجمرات من أرض المزدلفة وعدد الجمرات تسعة وأربعون جمرة فى حجم الفولة ثم تغسل الحصيات ويتشهد عليها بالشهادة ويحتفظ بها الحاج إلى يوم الرجم .

عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال « جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء بجَمْع ليس بينهما سجدة وصلى المغرب ثلاث ركعات وصلى العشاء ركعتين » .

رمى الجمرات

عند فجر اليوم العاشر من ذى الحجة ، يفيض الحاج إلى منى ويتوجه إلى بطن الوادى حيث رمز « ابليس الكبير » فيرجمه بسبع حصيات وعند كل رجمة يكبر .

عن عبد الله بن مسعود : رمى جمرة العقبة من بطن الوادى بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة » عن جابر رضى الله عنه أنه قال « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يرمى على راحلته يوم النحر ويقول لتأخذوا مناسككم ، فإنى لا أدرى لعلى لا أحج بعد حجتى هذه » .

وعن جابر رضى الله عنه قال : « رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمرة يوم النحر ضحى ، وأما بعد فإذا زالت الشمس » .

ويستحب عند الرمى هذا الدعاء : اللهم اجعله حجا مبرورًا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورًا .

النحــر

بعد رمى جمرة العقبة يحلق الحاج رأسه ويتحلل من إحرامه التحلل الأصغر ثم يتوجه إلى المجزر بمنى للنحر ، وذبح الهدى ، يكون مستحبا فى اليوم العاشر نهارا . ويقول عند النحر « بسم الله ، الله أكبر ، اللهم تقبل منى كما تقبلت من إبراهيم خليلك » .

المبيت بمنى

ﷺ يسن المبيت بمنى ثلاث ليال ومن تعجل فى يومين فلا إثم عليه لقوله تعالى « فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه » وشرط المبيت أن يتواجد الحاج بمنى من الغروب وحتى الفجر .

ومنى مدينة كبيرة بها طرقات مسفلتة وبها مستشفى كبير ومكتب للبرق والبريد ومبنى مصلحة الحج والشرطة والأمن العام وقصر الملك وبها فنادق وبيوت كثيرة ومحلات تجارية ومقاهي ومطاعم ويقيم الطوافون خياماً لحجاجهم للمبيت بها . وبها ثلاث هياكل رمزية لإبليس ردى [illegible] ل الرجم والمبيت بمنى واجب عند الحنفى والشافعى والمالكى .

طواف الافاضة

وطواف الإفاضة ركن من أركان الحج بإجماع الأئمة الأربعة ووقته بعد الزوال من عرفات إلى منى وبعد رمى جمرة العقبة الكبرى وبتمام طواف الإفاضة يتم للحاج التحلل الأكبر وطريقة طواف الإفاضة حسب طواف القدوم .

سعى الحج

لمن كان محرما بالحج أو بالحج والعمرة أن يسعى بين الصفا والمروة بحسب الطريقة التى شرحناها عند السعى .

جدول يبين
أحكام الحج والعمرة على المذاهب الأربعة

	المناسك	حنفى	مالكى	شافعى	حنبلى
١	الأحرام وهو نية أداء العمرة أو الحج أوهما معا	شرط	ركن	ركن	ركن
٢	الاحرام من الميقات المكانى	واجب	واجب	واجب	واجب
٣	الاغتسال للاحرام وحلق الشعر وتقليم الأظافر	سنة	سنة	سنة	سنة
٤	التلبية بعد الأحرام الى دخول مكة	شرط	واجب	سنة	سنة
٥	دخول مكة من باب المعلى نهارا	سنة	سنة	سنة	سنة
٦	دخول المسجد الحرام من باب السلام	سنة	سنة	سنة	سنة
٧	طواف القدوم ان أحرم من الحل ، ولم يردف الحج على العمرة	سنة	واجب	سنة	سنة
٨	ابتداء الطواف من الحجر الأسود	شرط	شرط	شرط	شرط
٩	الطواف سبعة أشواط من الحجر الى الحجر	شرط	شرط	شرط	شرط
١٠	تقبيل الحجر الأسود	سنة	سنة	سنة	سنة
١١	التكبير عند رؤية الحجر الأسود	سنة	سنة	سنة	سنة
١٢	جعل البيت حين الطواف عن يسار الطائف	واجب	شرط	واجب	شرط
١٣	الطهارة من الحدث والخبث وستر العورة كالصلاة	واجب	شرط	واجب	شرط
١٤	الدعاء اثناء الطواف	سنة	سنة	سنة	سنة
١٥	الدعاء بالملتزم بعد الطواف	سنة	سنة	سنة	سنة
١٦	صلاة ركعتين بعد الفراغ من الطواف	واجب	واجب	سنة	سنة
١٧	السعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط	واجب	ركن	ركن	ركن
١٨	الطهارة من الحدث والخبث فى السعى	سنة	سنة	سنة	سنة
١٩	بدء السعى من الصفا	واجب	شرط	شرط	شرط
٢٠	وقوع السعى بعد الطواف	واجب	شرط	شرط	شرط
٢١	الاسراع بين العلامتين الخضر فى المسعى	سنة	سنة	سنة	سنة
٢٢	المبيت بمنى اليوم الثامن من ذى الحجة				

	المناسك	حنفي	مالكي	شافعي	حنبلي
	(يوم التروية)	سنة	سنة	سنة	سنة
٢٣	الوقوف بعرفة يوم التاسع من ذى الحجة	ركن	ركن	ركن	ركن
٢٤	النزول بالمزدلفة ، وصلاة المغرب والعشاء جمع تأخير	واجب	واجب	سنة	سنة
٢٥	الوقوف بالمشعر الحرام (جبل بآخر المزدلفة)	واجب	سنة	سنة	سنة
٢٦	الاسراع ببطن محسر (واد بين المشعر الحرام ومنى)	سنة	سنة	سنة	سنة
٢٧	رمى جمرة العقبة بمنى من طلوع فجر يوم النحر الى الغروب	واجب	واجب	واجب	واجب
٢٨	رمى الجمرات بسبعة حصيات فى حجم الفولة	شرط	شرط	شرط	شرط
٢٩	الذبح والحلق والتقصير يوم النحر	واجب	واجب	واجب	واجب
٣٠	النزول من منى الى مكة يوم النحر لطواف الافاضة	سنة	سنة	سبنة	سنة
٣١	طواف الافاضة	ركن	ركن	ركن	ركن
٣٢	حصول الطواف بعد فجر يوم النحر كرمى جمرة العقبة	شرط	شرط	شوط	شرط
٣٣	وقوع طواف الافاضة قبل حلول شهر المحرم	واجب	واجب	سنة	سنة
٣٤	المبيت بمنى ثلاث ليال وللمتعجل ليلتين	سنة	واجب	واجب	واجب
٣٥	رمى الجمرات الثلاث من الزوال الى الغروب	واجب	واجب	واجب	واجب
٣٦	ترتيب الرجم يبدأ بالاولى والوسطى ثم جمرة العقبة	واجب	واجب	واجب	واجب
٣٧	تأخير طواف الافاضة بعد أيام الرمى والنحر والحلق	مكروه	مكروه	مكروه	مكروه
٣٨	طواف الوداع	واجب	سنة	واجب	واجب
٣٩	أركان العمرة ـ الاحرام ـ الطواف ـ السعى	سنة	سنة	واجب	واجب
٤٠	التحلل من العمرة بالحلق أو التقصير بعد السعى	واجب	واجب	ركن	واجب
٤١	ستر وجه المرأة وكفيها فى الاحرام	محظور	محظور	محظور	محظور
٤٢	لبس المخيط للرجال كالقميص والسراويل فى الاحرام	محظور	محظور	محظور	محظور

	المناسك	حنفي	مالكي	شافعي	حنبلي
٤٣	ستر الرجل وجهه أو رأسه	محظور	محظور	محظور	محظور
٤٤	استبدال المحرم ملابس الاحرام حال احرامه بأخرى	جائز	مكروه	جائز	جائز
٤٥	اغتسال المحرم بالماء حال احرامه	جائز	جائز	جائز	جائز
٤٦	التطيب بالروائح العطرية واندهون فيالبدن والثوب	محظور	محظور	محظور	محظور
٤٧	ازالة الشعر لغير عذر لرجل أو امرأة	محظور	محظور	محظور	محظور
٤٨	تقليم الاظافر ولو ظفر واحد لغير عذر	محظور	محظور	محظور	محظور
٤٩	عقد الزواج في الاحرام	محظور	محظور	محظور	محظور
٥٠	الجماع والانزال ومقدماته أو المذى	محظور	محظور	محظور	محظور
٥١	صيد الحيوان أو قتله	محظور	محظور	محظور	محظور
٥٢	قتل الحيوان البرى دفاعا عن النفس	جائز	جائز	جائز	جائز
٥٣	قطع نبات الحرم	محظور	محظور	محظور	محظور
٥٤	قطع نبات حرم المدينة والتعرض للصيد بها	محظور	محظور	محظور	محظور
٥٥	صيد البحر وأكله حال الاحرام	جائز	جائز	جائز	جائز
٥٦	زيارة قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام بالمدينة	سنة	سنة	سنة	سنة

الجدول السابق يبين الأركان والواجبات والشروط والسنن والمحظورات والمباح ولتفصيل ذلك :

١ ـ المراد بالسنة هو المستحب وعمل السنة مستحب وتركها لاشيء فيه مثال ٣، ٤، ٥، ٦، ١٠، ١١، ١٤، ١٨، ٢١، ٢٢، ٣٠، ٥٦ وكلها من السنن كالاغتسال بنية الاحرام والحلق استعداداً للإحرام وتقبيل الحجر الأسود ـ والهرولة ـ والدعاء في الطواف والسعى . . . !!

٢ ـ تعدى الميقات دون إحرام أى حلالًا فيه هدى .

٣ ـ الركن حسب ما هو موضح بالجدول لابد من فعله ولا هدى فيه ولايجزئ عنه دم ولاغيره كالاحرام ـ الطواف ـ السعى ـ الوقوف بعرفة .

٤ ـ ترك الشرط حسب الجدول يوجب «الهدى» .

٥ ـ ترك طواف القدوم قبل الوقوف بعرفة إن كان عليه طواف قدوم فيه «هدى» .

وتأخيره إلى بعد طواف الافاضة عند القائل بالوجوب فيه «هدى» .

٦ ـ ترك الواجب عند القائل به فيه «هدى»

٧ ـ الرجم لأنه شرط فى تركه «هدى»

٨ ـ المبيت بمنى عند القائل بالوجوب فى تركه «هدى»

٩ ـ لمن أفرد العمرة عن الحج وتمتع «هدى»

١٠ ـ لمن قرن الحج والعمرة معًا «هدى»

١١ ـ بعض المحظورات كالاستحمام بالماء والصابون فيه «الفدية» عند القائل بالحظر .

١٢ ـ إزالة الشعر لغير عذر عن البدن بحاق أو نتف لرجل أو امرأة فيه الفدية أو الإطعام .

١٣ ـ تقليم الأظافر لغير عذر فيه الفدية أو الإطعام .

الهـــدى

قال تعالى : « والبدن جعلناها لكم من شعائر الله ، لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر ، كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون ، لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » . « سورة الحج »

وقال عز من قائل : « وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ، ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله ، فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ، فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ، ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام ، واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب » (سورة البقرة) .

الهدى فى الأصل اسم لما يساق إلى الحرم تقربا إلى الله تعالى من نعم وغيرها من الأموال نذرًا كان أو تطوعًا ، ولكنه عند الاطلاق ينصرف للإبل والبقر والغنم ، والهدى واجب عند القران أى جمع الحج والعمرة ، وعند التمتع أى بإفراد العمرة عن الحج ، ولا هدى على من يحرم بالحج فقط ، كما يكون الهدى واجبا عند ترك أى واجب من الموجبات فى الحج والعمرة وهذا مذهب المالكية مثل ترك التلبية ، وطواف القدوم ، ورمى جمرة العقبة ، والمبيت بمنى أيام النحر .

والسنة الشريفة فى الهدى أن يكون من الإبل أو البقر أو الغنم أو الماعز .

محل النحر

ذهب المالكية إلى أن مكان النحر منى ومكة فإن كان الحاج قد ساق الهدى أمامه إلى عرفة وكان محرما بالحج فقط فمحل النحر هو منى وفى أيامها الثلاثة .

وذهب الشافعية إلى أن محل النحر هو الحرم والأفضل عندهم منى ن اعتمر فى غير أشهر الحج « المروة » لأنها محل التحلل من العمرة .

وعند الحنفية محل الذبح الحرم ويسن فى منى .

وشرط النحر أن يكون نهارًا بعد رمى جمرة العقبة وفى أيام النحر والأفضل بمنى والأصل وعليه الإجماع النحر فإن لم يستطع فصيام ثلاثة أيام بالحج وسبعة إذا رجع الحاج إلى وطنه وصيام الثلاثة أيام محلها منى بعد يوم النحر وهو أول أيام العيد .

والأصل أنه يحرم على صاحب الهدى أن يأكل منه إذا كان نذرا لمساكين عين لهم ، أو هدى تطوع ولكن الحنفية أجازوا بضع لقيمات منه ، وأجاز المالكية أكل بضع لقيمات إذا كان الهدى فى ترك واجب وكذا الشافعية إن كان الهدى تطوعًا أما إذا كان الهدى فى واجب بفعل محرم أو ترك واجب أو نذر للمساكين فلا يجوز الأكل منه لقوله تعالى : «ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير» والأفضل أن لا يزيد ما يأكله عن ثلث الهدى .

انواع الهدى

١ ـ الإبل : ويشترط أن يكون الهدى له خمس سنين ويشرك في كل ناقة سبعة أشخاص .

٢ ـ البقر : ويشترط أن يكون الهدى له سنتين ويشترك فى كل بقرة سبعة أشخاص .

٣ ـ الشاة : ويجب أن يكون عمرها لا يقل عن ستة شهور وسمينة وسليمة وتجزئ عن شخص واحد .

الفدية :

القدية : ما وجبت لترفه أو إزالة أذى مما حرم على المحرم لغير ضرورة كلبس مخيط. أو التطيب بعطر وغير ذلك من المحظورات وذلك لقوله تعالى : «ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ، لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين » .

ولقوله تعالى : «ليقضوا تفثهم ، وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » . والأصل فى فعل محظور أو ترك «الفدية » وعلى التخيير الذبح أو الصوم ثلاثة أيام أو الصدقة أو النسك .

وعند المالكية الأصل تتعدد الفدية بتعدد موجباتها إلا فى أربعة مواضع .

١ – إذا كان فعل المحظورات فى وقت واحد كمس طيب ولبس مخيط. أو تقليم أظافر أو إزالة شعر فإن جميع المحظورات يجبرها دم واحد ويخالف فى هذا الحنفية .

٢ – إذا جمع فى محظورات أيضا كلبس مخيط، وحذاء أو سراويل مادامت فى وقت واحد وبلا تراخ فإن دما واحدا يجزئ .

٣ – أنواع الفدية ثلاثة على التخيير – صيام أو صدقة أو نسك ويختلف مقدار الصدقة بحسب كل حالة فمثلا عند المالكية إزالة الظفر الواحد ترفها أو عبثا حفنة من طعام وعند الحنفية. أنه إذا قلم الظفر أو أزاله فالتعدد واجب بالنسبة لكل ظفر والصدقة هنا نصف صاع من بر أو صاع من تمر أو شعير أو قيمة ذلك مالًا .

مواطن الدعاء بالأماكن المقدسة

الدعاء وذكر الله هما الوسيلة إلى الصلاح والثواب من الله . وقد ورد فى كتاب الله عز وجل آيات كثيرة تبين فضل الدعاء :

١ ـ «الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ، الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب» .
(سورة الرعد ٢٨ ـ ٢٩)

٢ ـ «يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما» (سورة الأحزاب ٤١-٤٣)

٣ ـ «وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ، إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين» (سورة غافر ٦٠)

٤ ـ «وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) (سورة البقرة ١٨٦)

الأدعية المأثورة

أولا : دعاء دخول الحرم :

اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام وأدخلنا الجنة دار السلام تباركت ربنا وتعاليت ياذا الجلال والإكرام . اللهم افتح لي أبواب رحمتك ومغفرتك وأدخلنى فيها . بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم» .

ثانيا : دعاء رؤية الكعبة :

اللهم لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير» .

أعوذ برب البيت من الكفر والفقر ومن عذاب القبر وضيق الصدر وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة ورفعة وزد من حجه أو اعتمره تكريما وتشريفا وتعظيما ومهابة ورفعة وبرا .

(رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) – «وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » .

ثالثا : دعاء الطواف :

اللهم أنى نويت طواف بيتك المعظم سبعة أشواط لوجهك الكريم . اللهم يسر حالى وتقبلها منى ، اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله اللهم انى أسألك أن تقبل توبتى وأن تتجاوز عن خطيئتى وتضع عنى وزرى ، الحمد لله الذى بلغنى بيته الحرام الذى جعله مثابة للناس وأمنا وجعله هدى ومباركا للعالمين .

عند استلامك للحجر الأسود قل بسم الله ، الله أكبر ، ألله أكبر ، ألله أكبر ولله الحمد . وتبدأ الطواف .

رابعا : دعاء الشوط الاول من الطواف :

اللهم إن البيت بيتك والحرم حرمك والأمن أمنك وهذا مقام العائذ بك من النار فأعذنى منها يا عزيز يا غفار اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات .

اللهم إني أسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدين والدنيا والآخرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك وحبيبك محمد صلى الله عليه وسلم .

اللهم أعذنى من الشرك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الأخلاق وسوء المنظر فى الأهل والمال والولد .

اللهم أظلنى تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك . اللهم اسقنى شربة بكأس نبيك محمد صلى الله عليه وسلم لا أظمأ بعدها ياذا الجلال والإكرام.

اللهم اجعله حجا مبرورًا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا وتجارة لن تبور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم .

اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر وأسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة والفوز بالجنة والنجاة من النار .

ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وأدخلنا الجنة مع الأبرار يا عزيز يا غفار يا رب العالمين .

خامسا : دعاء الشوط الثانى :

اللهم إن هذا البيت بيتك والحرم حرمك والأمن أمنك والعبد عبدك وأنا عبدك وابن عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار فحرم لحومنا وبشرتنا على النار .

اللهم حبب الينا الإيمان وزينه فى قلوبنا وكره الينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين .

اللهم قنى عذاب يوم تبعث عبادك اللهم ارزقنى الجنة بغير حساب .

سادسا : دعاء الشوط الثالث :

اللهم إنى أعوذ بك من الشك والشرك والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق وسوء المنظر والمنقلب فى المال والأهل والولد . اللهم أنى أسألك رضاك والجنة وأعوذ بك من سخطك والنار ... اللهم إنى أعوذ بك من فتنة القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات . ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وأدخلنا الجنة مع الأبرار يا عزيز يا غفار يا رب العالمين .

سابعا : دعاء الشوط الرابع :

اللهم اجعله حجا مبرورًا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا وعملا صالحا مقبولا وتجارة لن تبور يا عالم ما فى الصدور أخرجنى يا الله من الظلمات إلى النور . اللهم إنى أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل اثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار .

رب قنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيما أعطيتنى واخلف على كل غائبة لى منك بخير . ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وأدخلنا الجنة مع الأبرار يا عزيز يا غفار يارب العالمين .

ثامنا : دعاء الشوط الخامس :

اللهم أظلنى تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك ولا باقى إلا وجهك واسقنى من حوض نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبدا اللهم إنى أسألك من خير ما سألك منه

نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك من شر ما استعاذ ك منه نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها وما يقربني إليها من قول أو فعل أو عمل وأعوذ بك من النار وما يقربني إليها من قول أو فعل أو عمل . ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . وادخلنا الجنة مع الأبرار يا عزيز يا غفار يارب العالمين .

تاسعا : دعاء الشوط السادس :

اللهم إن لك علىّ حقوقا كثيرة فيما بينى وبينك وحقوقا كثيرة فيما بينى وبين خلقك . اللهم ما كان لك منها فاغفره لى وماكان لخلقك فتحمله عنى وأغنى بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك يا واسع المغفرة . اللهم إن بيتك عظيم ووجهك كريم وأنت يا الله حليم كريم عظيم تحب العفو فاعف عنى . ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وأدخلنا الجنة مع الأبرار يا عزيز يا غفار يارب العالمين .

عاشرا : دعاء الشوط السابع :

اللهم إنى أسألك إيمانا كاملا ويقينا صادقا ورزقا واسعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا وحلالا طيبا وتوبة نصوحا وتوبة قبل الموت وراحة عند الموت ومغفرة ورحمة بعد الموت والعفو عند الحساب والفوز بالجنة والنجاة من النار برحمتك يا عزيز يا غفار زدنى علما وألحقنى بالصالحين .

ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وأدخلنا الجنة مع الأبرار يا عزيز يا غفار يا رب العالمين .

دعاء مقام ابراهيم

اللهم يسرلى اليسرى وجنبنى العسرى واغفرلى فى الآخرة والأولى . اللهم إنك دعوت عبادك إلى بيتك الحرام وقد جئت طائعا لأمرك فاغفرلى وارحمنى اللهم اغفر لى ولوالدي وارحمهما كما ربيانى صغيرًا ، اللهم اغفر لى ولجميع المؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات ، اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى ، وتعلم حاجتى فاعطنى سؤلى وتعلم مافى نفسى فاغفر لى ذنوبى - اللهم إنى أسألك إيمانا يباشر قلبى ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لا يصيبنى إلا ما كتبت لى رضا منك ما قسمت لى أنت ولبى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين .

اللهم لا تدع لنا فى مقامنا هذا ذنبا إلا غفرته ولا هما إلا فرجته ولا حاجة إلا قضيتها ويسرتها فيسر أمورنا واشرح صدورنا ونور قلوبنا واختم بالصالحات أعمالنا ، اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين والحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين .

دعاء الملتزم

اللهم رب البيت العتيق اعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا وإخواننا وأولادنا من النار ، اللهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة ، اللهم إنى عبدك وابن عبدك واقف تحت بابك ملتزما لأعتابك متذللا بين يديك أرجو رحمتك وأخشى عذابك ، اللهم اشرح لى صدري ويسر لى أمرى واغفر لى ذنبى .

دعاء الحجر الاسود

اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى وتعلم حاجتى فاعطنى سؤالى ، اللهم إنى أسألك إيمانا يباشر قلبى

ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبته لى والرضا بما قسمت لى يا أرحم الراحمين .

دعاء حجر اسماعيل عليه السلام

اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوءُ لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفرلي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، اللهم إنى أسألك من خير ما سألك به عبادك الصالحون وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبادك الصالحون ، اللهم باسمائك الحسنى وصفاتك العليا طهر قلوبنا من كل وصف يباعدنا عن مشاهدتك ومحبتك وأمتنا على السنة والجماعة والشوق إلى لقائك ياذا الجلال والإكرام . ، اللهم نور بالعلم قلبي واستعمل بطاعتك بدنى وخلص من الفتن سرى واشغل بالاعتبار فكرى وقنى شر وساوس الشيطان وأجرنى منه يارحمن حتى لايكون له على سلطان . ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار .

دعاء الدخول الى عرفة

اللهم إليك توجهت وبك اعتصمت وعليك توكلت . اللهم اجعلني ممن تباهى به اليوم ملائكتك ، إنك على كل شى قدير :

الدعاء بالمزدلفة عند المشعر الحرام

الحمد لله تعالى الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ، اللهم إليك أفضت ومن عذابك أشفقت وإليك رغبت ومنك رهبت فاقبل نسكى وأعظم أجرى وامح حوبتى وزودنى بالتقوي ، اللهم ان هذا جمع أسألك أن ترزقنى جوامع الخير كله فإنه لا يعطى ذلك غيرك ، اللهم

رب المشعر الحرام ورب الشهر الحرام ورب الحلال والحرام ورب الخيرات العظام ، أسألك أن تبلغ روح نبينا سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . أفضل السلام ، اللهم أنت خير مطلوب وخير مرغوب أسألك أن تقبل توبتى وتتجاوز عن خطيئتى وأن تجعل التقوى من الدنيا همى وأن تجمع على الهدي أمري ، اللهم كما أوقفتنا فيه وأريتنا إياه فوفقنا لذكرك كما هديتنا واغفر لنا وارحمنا كما دعوتنا بقولك الحق « فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ، واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين ، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم » .

«اللهم إنا نسألك يا غفور يا رحيم أن تفتح لأدعيتنا أبواب الإجابة يا من إذا سأله المضطر أجابه يا من يقول للشئ كن فيكون » .

اللهم إنا جئناك بجمعنا متشفعين إليك في غفران ذنوبنا فلا تردنا خائبين وآتنا أفضل ماتؤتى عبادك الصالحين ، ولا تصرفنا من هذا المشعر العظيم إلا فائزين مفلحين غير خزايا ولا نادمين ولا ضالين ولا مضلين يا أرحم الراحمين .

اللهم متعنا بالنظر إلى وجهك الكريم برحمتك يا أرحم الراحمين ، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار يا عزيز يا غفار بيدك الملك وأنت على كل شىء قدير » .

دعاء دخـــول منى

اللهم هذه منى قد أتيتها وأنا عبدك وابن عبدك ، وأسألك أن تمن على بما مننت به على أوليائك ، اللهم إني أعوذ بك من الحرمان والمصيبة

فى دينى ودنياى يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

دعــاء رمى الجمرات

الله أكبر . ألله أكبر . ألله أكبر على طاعة الرحمن ورغم الشيطان ، اللهم تصديقا لكتابك واتباعًا لسنة نبيك ، اللهم اجعله حجا مبرورًا وذنبًا مغفورًا وسعيًا مشكورًا » .

دعاء الوداع

اللهم هذا بيتك وأنا عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتنى على ما سخرت لى ، وسيرتنى فى بلادك حتى بلغتنى بنعمتك إلى بيتك وأعنتنى على أداء نسكى فإن كنت رضيت عنى فازدد عنى رضا ولك الحمد ولك الشكر ، وهذا أوان انصرافى إن أذنت لى غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغبًا عنك ولا عن بيتك ، اللهم فاصحبنى العافية فى بدنى والصحة فى جسمى والعصمة فى دينى وأحسن منقلبى وارزقنى طاعتك ما أبقيتنى واجمع لى بين خيرى الدنيا والآخرة إنك على كل شئ قدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » .

دعاء عرفات

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير. اللهم لك صلاتى ، ونسكى ومحياى ومماتى وإليك مآبى ولك رب تراثى اللهم إنك وفقتنى وحملتنى على ما سخرت لى حتى بلغتنى باحسانك إلى زيارة بيتك والوقوف عند هذا المشعر العظيم اقتداء بسنة خليلك واقتفاء بآثار خيرتك من خلقك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأن لكل ضيف قرى ولكل وفد جائزة

ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية ولكل راج ثوابا ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل راغب إليك زلفة ولكل متوجه إليك إحسانا وقد وقفنا بهذا المشعر العظيم رجاء لما عندك فلا تخيب الهنا رجاءنا فيك يا سيدنا ومولانا يا من خضعت كل الأشياء لعزته وعنت الوجوه لعظمته اللهم إليك خرجنا وبفنائك أنخنا وإياك أملنا وما عندك طلبنا ولإحسانك تعرضنا ولرحمتك رجونا ومن عـــذابك اشفقنـــا .. يا من ليس معـــه رب يـــدعى ولا إله يرجى ولا فوقه خالق يخشى ولا وزير يؤتى ولا حاجب يرشى يا من لا يزداد على السؤال إلا كرما وجودا وعلى كثرة الحوائج إلا تفضلا وإحسانا يا من ضجت بين يديه الأصوات بمختلف اللغات يسألونك الحاجات وسكبت الدموع بالعبرات والزفرات ملحين بالدعوات فحاجتى إليك يارب مغفرتك ورضاء منك لا سخط علىّ بعده وهدى لا ضلال بعده وعلما لا جهالة بعده وحسن الخاتمة والعتق من النار والفوز بالجنة وأن تذكرنى عند البلاء إذا نسينى أهل الدنيا وواروني التراب وانقطع عنى الأحباب وتقطعت بى الأسباب يا عزيز يا وهاب يا أرحم الراحمين اللهم إنك ترى مكانى وتسمع كلامى وتعلم سرى وعلانيتى ولا يخفى عليك شئ من أمرى أنا البائس الفقير المستغيث الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير دعاء من خضع لك عنقه وذل لك جسده وفاضت لك عيناه ورغم لك أنفه لا تجعلنى بدعائك رب شقيا وكن بى رءوفا رحيما يا خير المسئولين يا خير المعطين رب اهدنا بالهدى وزينا بالتقوى واغفر لنا فى الآخرة والأولى ، اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا وفى لسانى نورا ومن يمينى نورا وعن يسارى نورا ومن فوقى

نورا ومن تحتى نورا ومن أمامي نورا ومن خلفى نورا واجعل لى فى نفسى نورا وأعظم لى نورا رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى .

اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ، اللهم الك الحمد كالذى تقول اللهم انى أسألك رضاك والجنة وأعوذ بك من سخطك والنار وما قرب إليها من قول أو فعل أو عمل اللهم اجعله حجا مبرورا وذنبا مغفورا وعملا صالحا مقبولا . ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار إلهى لا قوة لى على سخطك ولا صبر لى على عذابك ولا غنى لى عن رحمتك ولا قوة لى على البلاء ولا طاعة لى على الجهد أعوذ برضاك من سخطك ومن فجاءة نقمتك يا أملى ويا رجائى يا خير مستغاث يا أجود المعطين يا من سبقت رحمته غضبه يا سيدى ومولاى يا ثقتى ورجائى ومعتمدى اللهم يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الأصوات يا من لا تغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات يا من لا يبرمه الحاح الملحين ولا تعجزه مسألة السائلين أذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك يا أرحم الراحمين . اللهم انى قد وفدت إليك ووقفت بين يديك فى هذا الموضع الشريف رجاء لما عندك فلا تجعلنى اليوم أخيب وفدك فأكرمنى بالجنة ومن على بالمغفرة والعافية وأجرنى من النار وادرأ عنى شر خلقك ، انقطع الرجاء إلا منك وأغلقت الأبواب إلا بابك فلاتكلنى إلى أحد سواك فى أمور دينى ودنياى طرفة عين ولا أقل من ذلك وانقلنى من ذل المعصية إلى عز الطاعة ونور قلبى وقبرى وأعذنى من الشر كله واجمع لى الخير كله يا أكرم من سئل وأجود من أعطى . اللهم بنورك اهتدينا وبفضلك استغنينا وفى كنفك وانعامك وعطائك وإحسانك أصبحنا وأمسينا أنت الأول فلا شىء قبلك والآخر فلا شىء بعدك والظاهر فلا شىء

فوقك والباطن فلا شيء دونك نعوذ بك من الفلس والكسل وعذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر وفتنة الغنىَ أسألك موجبات رحمتك وعزائم معزتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم والفوز بالجنة والنجاة من النار .

اللهم يا عالم الخفيات ويا سامع الأصوات يا باعث الأموات يا مجيب الدعوات يا قاضى الحاجات يا خالق الأرض والسموات أنت الله الذي لا إله إلا أنت الواحد الأحد الفرد الصمد الوهاب الذى لا يبخل والحليم الذي يعجل لا راد لأمرك ولا معقب لحكمك رب كل شيء ومليك كل شئ ومقدر كل شئ أسألك أن ترزقنى علما نافعا ورزقا واسعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا وعملا زكيا وإيمانا خالصا وهب لنا إنابة المخلصين وخشوع المخبتين وأعمال الصالحين ويقين الصادقين وسعادة المتقين ودرجات الفائزين يا أفضل من قصد وأكرم من سئل وأعلم من أعطى ما أحلمك على من عصاك وأقربك إلى من دعاك وأعطفك على من سألك لا مهدى إلا من هديت ولا غنى إلا من أغنيت ولا فقيرا إلا من أفقرت ولا معصوما إلا من أعصمت ولا مستورا إلا من سترت أسألك أن تهب لنا جزيل عطائك والسعادة بلقائك والمزيد من نعمتك وآلائك وأن تجعل لنا نورا فى حياتنا ونورا فى مماتنا ونورا فى قبورنا ونورا فى حشرنا ونورا نتوسل به إليك ونورا نفوز به لديك فإنا ببابك سائلون وللقائك راجعون اللهم اجعل عمرى آخره وخير عملى خواتمه وخير أيامى يوم لقائك . اللهم ثبتنى بأمرك وأيدنى بنصرك وارزقنى من فضلك ونجنى من عذابك يوم تبعث عبادك فقد أتيتك لرحمتك راجيا وعن وطنى نائيا ولنسكى مؤديا ولفرائضك قاضيا ولكتابك تاليا ولك داعيا ومن قرة قلبى شاكيا

ومن ذنبي خاشيا ولنفسى ظالما وبجرمى عالما دعاء من جمت عيوبه وكثرت ذنوبه وتصرمت آماله وبقيت آثامه وانسكبت دمعته وانقطعت مدته دعاء من لا يجد لذنبه غافرا غيرك ولا لمأموله من الخيرات معطيا سواك ولا لكسره جابرا إلا أنت يا أرحم الراحمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

اللهم لاتقدمني لعذابك ولا تؤخرنى لشئ من الفتن ، مولاى فها أنا أدعوك راغبا وأنصب إليك وجهى طالبا وأضع لك خدي مهينا راهبا فتقبل دعائى وأصلح الفاسد من أمري واقطع من الدنيا همى وحاجتى واجعل فيما عندك رغبتى واقلبنى منقلب المذكور عندك دعاؤهم القائمة محبتهم المغفور ذنبهم المبرور حجهم المحطوط خطاياهم المدحو سيئاتهم الراشد أمرهم منقلب من لا يعصى لك أمرا ولا يأتى بعده مأثما ولا يحمل بعده وزرا منقلب من عزت بذكرك لسانه وطهرت من الأدناس بدنه واستودعت الهدي قلبه وشرحت بالاسلام صدره وأقررت برضاك وعفوك قبل الممات عينه وفضضت عن المآثم بصره واستعملت فى سبيلك نفسه وأسألك أن لا تجعلنى أشقى خلقك المذنبين عندك ولا أخيب الراجين لديك ولاأحرم الآملين لرحمتك ولا أحسر المنقلبين من هذا الموقف العظيم مولاى رب العالمين .

اللهم وقد دعوتك بالدعاء الذى علمتنيه فلا تحرمنى الرجاء الذي عرفتنيه يا من لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية وما أعطيتنى مما أحب فاجعله لى عونا فيما تحب واجعله لى خيرا وحبب طاعتك لى والعمل بها كما حببتها إلى أوليائك حتى رأوا ثوابها وكما هديتنى للاسلام فلا تنزعه منى حتى تقبضنى إليك وأنا عليه .

اللهم حبب إلي الإيمان وزينه فى قلبي وكره إلي الكفر والفسوق والعصيان واجعلني من الراشدين .

اللهم اختم بالخيرات آجالنا وحقق بفضلك آمالنا وسهل لبلوغ رضاك سبلنا وحسن فى جميع الأحوال أعمالنا يا منقذ الغرقى يا منجى الهلكى يا شاهد كل نجوى يا منتهى كل شكوى يا قديم الاحسان يا دائم المعروف يا من لاغنى لشئ عنه ولا بد لكل شئ منه يا من رزق كل شئ عليه ومصير كل شئ إليه ، إليك رفعت أيدى السائلين وامتدت أعناق العابدين نسألك أن تجعلنا في كنفك وجودك وحرزك وعياذك وسرك وأمانك .

اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وشماتة الأعداء وسوء المنظر والمنقلب فى الأهل والمال والولد . اللهم لاتدع فى مقامنا هذا ذنبا إلا غفرته ولا هما إلا فرجته ولا غائبا إلا رددته ولا كربا إلا كشفته ولا دينا إلا قضيته ولا عدوا إلا كبته ولا فسادا إلا أصلحته ولا مريضا إلا عافيته ولا حاجة من جوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضا ولنا فيها صلاح إلا قضيتها فإنك تهدى السبيل وتجير الكسير وتغنى الفقير .

اللهم إنه لابد لنا من لقائك فاجعل عندك عذرنا مقبولا وذنبنا مغفورًا وعلمنا موفورًا وسعينا مشكورًا أصبح وجهى الفانى مستجيرا بوجهك الباقى القيوم ذي العزة والجبروت .

اللهم لايمنعنى منك أحد إذا أردتنى ولا يعطينى أحد إذا حرمتنى فلا تحرمنى بقلة شكرى ولا تخذلنى بقلة صبرى . اللهم اجعل الموت خير غائب ننتظره والقبر خير بيت نعمره واجعل ما بعده خيرا لنا منه رب اغفر لى ولوالدى ولأبنائى ولأخوتي ولأخواتى ولإخوانى وأهل بيتى وذريتى

وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات والأحياء منهم والأموات .
اللهم إنى أسألك إيمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لا يصيبنى إلا ما كتبت لى وارضنى بقضائك واعنى على الدنيا بالعفة والقناعة وعلى الدين بالطاعة وطهر لساني من الكذب وقلبي من النفاق وعملى من الرياء وبصرى من الخيانة فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

اللهم ارحم غربتى فى الدنيا ومصرعى عند الموت ووحشتى فى قبرى وقيامى بين يديك اللهم أنت السلام تباركت وتعاليت ياذا الجلال والإكرام .

اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت وأنا عبدك ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت سبحانك يا أرحم الراحمين .

اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي من هذا الموقف العظيم وارزقنى الرجوع إليه مرات كثيرة بلطفك العميم واجعلنى فيه مفلحًا مرحومًا مستجاب الدعاء فائزًا بالقبول والرضوان والتجاوز والغفران والرزق الحلال الواسع وبارك لى فى جميع أموري وما أرجع إليه من أهلى ومالى وأولادى ، ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار واغفر لنا ولوالدينا ولوالدى وذرياتنا وأخواتنا وأهلينا والحاضرين والغائبين من المسلمين أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين .

مَزَارَاتُ مَكَّة

١ ـ مولد الرسول صلى الله عليه وسلم فى شِعب بنى عامر .

٢ ـ مولد سيدنا على بالقرب منه .

٣ ـ مولد السيدة فاطمة فى (درب الحجر) وهو دار السيدة خديجة بنت خويلد زوج الرسول صلوات الله وسلامه عايه وفيها أنجبت أولادها القاسم وعبد الله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضى الله عنهم أجمعين .

٤ ـ دار الأرقم بن أبى الأرقم وهى تقع فى زقاق على يسار الصاعد إلى الصفا وهى الدار التى كان ينشر الرسول الكريم منها رسالة الإسلام وستجد مكتوبا على بابها : بسم الله الرحمن الرحيم ـ « فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والآصال ، رجال » .

٥ ـ دار أبى سفيان وهى مهدمة الآن فى الشرق الشمالى للحرم وقد جعلها الرسول صلوات الله وسلامه عليه يوم فتح مكة حرمًا آمنا من دخلها من المشركين أصبح آمنا .

٦ ـ شعب بنى هاشم وشعب على وشعب بنى عامر ومساكن بنى عبد المطلب .

٧ ـ غار حراء ويقع فوق قمة جبل النور على يسارك فى طريقك إلى عرفة وفيه نزل الوحى على الرسول وهو يتعبد لأول مرة .

٨ ـ المعلى : وهى مقبرة مكة فى طريقك إلى منى وعرفات وفيها قبور السيدة خديجة رضى الله عنها وأبي طالب عم الرسول وعبد المطاب جد الرسول وأولاد النبى صلى الله عليه وسلم القاسم وعبد الله .

الفصل الحادى عشر

الطريق إلى بيت الله الحرام

للحاج طريقان : إما السفر بحرا أو جوا وحكومة الجمهورية العربية المتحدة : تيسر السبل للحجاج بالطريقين .

وسنشرح طريقة السفر بحرا وجوا :

السفر بحرا

ويبدأ من ميناء بور توفيق بالسويس إلى ميناء جدة وتستغرق الرحلة بالبواخر ما بين ثمانية وأربعين ساعة وسبعين ساعة .

(١) عند وصول الباخرة إلى رابغ يسمع الحاج صوت صفارة الباخرة تعلن الوصول إلى ميقات الاحرام – ويجب على كل حاج الاحرام من هذا المكان وهذا المكان قبل الوصول إلى ميناء جدة بحوالى ثمانى ساعات .

(٢) عند الوصول إلى ميناء جدة يصعد مندوبو الصحة والجوازات والجنسية بالحكومة السعودية لمراجعة الجوازات والتأكد من استيفاء الإجراءات الصحية .

(٣) ينزل الحجاج إلى الميناء . ويستقلون السيارات إلى الدائرة الجمركية وهناك ينقل الحمالون العرب أمتعة الحجاج بواسطة اللوريات وعند دخول الحجاج الدائرة الجمركية تسحب جوازات السفر ويقيد على كل جواز اسم المطوف الذى يرغبه الحاج . ثم بعد إتمام الإجراءات

الموركجية ينتقل الحجاج بأمتعتهم إلى مدينة الحجاج بميناء جدة . وهى مدينة فسيحة بها مبان كثيرة من طابقين ومزودة بالكهرباء . والمياه ووسائل التهوية وبداخل المدينة كثير من المتاجر والمطاعم وبها مكاتب وكلاء المطوفين وبعد أن يستريح الحجاج بهذه المدينة – يحضر وكلاء المطوفين سيارات الأتوبيس لنقل الحجاج إلى مكة المكرمة .

٤ – المسافة من جدة إلى مكة حوالى ٧٥ كيلو تقطعها السيارة فى حوالي الساعتين وهو طريق مرصوف وبه محطات مزودة بالوقود واستراحات للحجاج وفى منتصف الطريق تقريبا (بحره) وهى مكان على الطريق العمومى به عدة مقاه يمكن للحاج أن يستريح بها وأن يتوضأ أو يغتسل استعدادا لدخوله مكة .

(٥) عند وصول الحجاج إلى مكة يتوجه كل حاج إلى مطوفه حيث يقوم المطوف بإعداد ما يلزمه من وسائل الراحة ويقوم بارشاده إلى مناسك الحج .

(٦) مكة المكرمة مدينة كبيرة بها كل وسائل الراحة وبها مستشفيات ومحلات عامة وفنادق فاخرة ويمكن لكل حاج أن يجد بها الراحة المنشودة .

(٧) المسافة من مكة إلى عرفات حوالى ٢٨ كيلو في طريق معبد مرصوف وعلى جانبي الطريق استراحات للحجاج وتقطعها السيارة في حوالى الساعة .

(٨) الطريق من عرفات إلي المزدلفة ومنى معبد ومرصوف وبه أيضا استراحات ، والمسافة من عرفات إلى المزدلفة ١١ كيلو ومن المزدلفة إلى منى ٧ كيلو ومن منى إلى مكة حوالى ١٠ كيلو والوصول إلى هذه الأماكن يكون بالاتوبيسات التى يستحضرها المطوفون للحجاج .

(٩) العودة إلى جدة ومنها إلى المدينة المنورة بالأتوبيس أو التاكسى وهى تبلغ حوالى ١٢ ساعة والتاكسى فى حوالى ساعات والطريق مرصوف وبه استراحات ونقط للشرطة ويمر الحاج برابغ ومساجيد ومستورة وبدر وأبيار على وعروة ثم المدينة المنورة .

السفر جوا

يمكن لكل حاج يرغب السفر بالطائرة أن يحجز له مكانا بشركة الطيران العربية بحسب الأسعار المحددة والمسافة من مطار القاهرة إلى مطار جدة ثلاث ساعات على الطائرة العربية وبوصول الحاج إلى مطار جدة وبعد إتمام الإجراءات الجمركية ينزل فى مدينة الحجاج الجديدة إلى أن يستحضر له وكلاء المطوفين سيارات الأتوبيس لسفره إلى مكة وتتم مناسك الحج عن طريق السيارات وعند العودة إلى جدة يركب الحاج الطائرة السعودية من مطار جدة إلى مطار المدينة وتقطعها الطائرة فى حوالى ساعة ونصف وعند وصوله إلى مطار المدينة يجب على كل حاج أن يقيد اسمه بمكتب الطيران لأن العودة إلى محجر الطور بأسبقية القيد وتقطع الطائرة المسافة من مطار المدينة إلى مطار الطور فى حوالى ساعتين

ارشادات عامة وصحية

أولا : يجب من كل حاج أن يحمل معه عند سفره :

(١) ملابس داخلية .

(٢) جلاليب خفيفة .

(٣) نظارة شمس .

(٤) شمسية مبطنة .

(٥) ترمس أو زمزمية .

(٦) ملابس الإحرام وهى :

ا) بشكرين .

ب) شنطة جلد صغيرة للجنب .

جـ) كمر جلد للوسط .

د) دبابيس مشبك كبيرة لملابس الإحرام .

ثانيا : يستحسن التخفف من حمل الأمتعة والأطعمة . فالمأكولات متوافرة بجميع أجزاء المملكة السعودية وبكل منطقة ينزل بها الحجاج ويستحسن لكل حاج أن يأخذ معه شيئا من الجبن الابيض والزيتون والليمون فقط .

ثالثا : يستحسن عدم خروج الحجاج نهاراً خوفا عليهم من ضربات الشمس المنتشرة وذلك من صلاة الفجر إلى الغروب .

رابعا : يستحسن التخفيف من الأطعمة الدسمة نظرا لشدة الحرارة .

خامسا : يستحسن تناول أقراص الملح والفيتامينات أثناء مدة الحج .

سادسا : الاكثار من المثليجات والمرطبات يعاون على تحمل الحرارة .

سابعا : يجب على كل حاج الاستعانة بالبعثات الطبية إذا شعر بأى مرض أو أصيب بأى جرح .

ثامنا : يجب على كل حاج عدم المغالاة فى شراء الهدايا حتى لايتعرض لتفتيش الجمارك ودفع رسوم باهظة وحد الاعفاء لكل حاج عشرون جنيها .

الاجراءات الصحية والجمركية عند العودة للوطن الحبيب

١ ـ عند وصول الحاج إلى محجر الطور سواء بالطائرة أو على الباخرة سيصعد رجال وزارة الصحة ، لتحية الحجاج وتبخيرهم تبخيرا خفيفا بمواد ذات رائحة لطيفة ، ثم يطلعون على جوازات السفر والبطاقات الصحية

٢ ـ ينزل الحجاج بعد ذلك ويركبون السيارات إلى مبنى المحجر حيث يتم الكشف صحيا على الحجاج وإدخال الحقائب إلى الأفران للتبخير ، وهى إجراءات وقائية لتطهير الأمتعة والهدايا والملابس .

٣ ـ يقيم الحجاج فى هزاءات المحجر ثلاثة أيام للاطمئنان على نظافة الحجاج وخلوهم من الأمراض وبهذه الهزاءات مجموعات من المساكن النظيفة بالأسرة والمطابخ والحمامات والمناسك وبها بوفيهات ومكتب للتليفون وكل ما يلزم الحجاج من وسائل الراحة .

٤ ـ يجب على الحجاج احترام التعليمات الصحية وعدم مغادرة الهزاءات أو مخالفة أوامر رجال الحجر وكذا استعمال الأدوية التى تصرف لهم .

٥ ـ رجال مصلحة الجمارك يزورون الحجاج فى الهزاءات ويجرون عملهم فى حدود القانون ومراعاة ظروف الحجاج فالمرجو من الحجاج إطلاعهم على كل ما معهم ومصارحتهم بالحقائق حتى لايقعوا تحت طائلة العقاب ومصادرة ما معهم من أشياء .

٦ ـ يجب على الحجاج المبادرة بتقديم أنفسهم إلى مكاتب الصحة التابعين لها كل فى محيط سكنه فى خلال يومين من تاريخ الوصول لمراقبتهم صحيا .

الفصل الثاني عشر

زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم

«إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما» . (سورة الأحزاب)

أيها الحاج الكريم :

اعلم وفقك الله أنه بعد أن أفاء الله عليك بأداء مناسك الحج وعدت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك وطفت ببيت الله الحرام وتمتعت بمشاهدة أنوار الكعبة وزرت الأماكن المقدسة بمكة المكرمة وجب عليك أن تبادر إلى زيارة قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وفي هذه الزيارة المباركة التي تختتم بها رحلتك الميمونة في الأراضي المقدسة ستسعد بالوقوف أمام قبر سيد الخلق أجمعين والشفيع فيك يوم الدين والذي اختصه الله برسالة الإسلام ، رسالة النور التي اختتم بها المولى تبارك وتعالى سائر الرسالات السماوية ، وتذكر قوله تعالى : «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا لله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما» .

وأمام هذا المقام الطاهر المبارك أقرئ رسول الله السلام بصوت خافت وفي خشوع وأدب لقوله عز من قائل «يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي» .

وزيارة قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام مشروعة بإجماع الأئمة ومطلوبة بالكتاب والسنة .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من زارني بعد موتى ، فكأنما زارني فى حياتى » وعنه صلى الله عليه وسلم « ومن مات بأحد الحرمين بعثه الله تعالى فى الآمنين يوم القيامة » .

وقيل فى روايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من حج إلى مكة ، وقصدنى فى مسجدى كتبت له حجتان مبرورتان» .

وفى رواية أخرى «من حج ولم يزرنى فقد جفانى» .

والزيارة واجبة لقوله عليه الصلاة والسلام ، « تشد الرحال لثلاث مساجد ، المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى » .

وقد جاء فى السنة الصحيحة - المتفق عليها الأمر بزيارة القبور وقد زار رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيع الغرقد قبل انتقاله للرفيق الأعلى ، وقبر المصطفى عليه الصلاة والسلام أولى بهذه الزيارة وأحق وأعلى - بل لانسبة بينه وبين قبر غيره .

اللهم عطر قبره الشريف بالتعظيم والتحية ، واغفر لنا ، بجاه حبك له وحبه لك ، جميع الذنوب والخطايا والآثام - واجعلنا المتبعين لسنته والعاملين على إعزاز كلمة الحق ونصر دين الإسلام . وليتذكر كل مسلم تلك الآية الكريمة التى نزلت على رسوله الكريم فى حجة الوداع « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » .

(سورة المائدة)

الطريق إلى المدينة المنورة

١ - بعد طواف الوداع وهو آخر عهدك بالكعبة المشرفة فى عام حجك قف بالملتزم والصق صدرك وتبسط يديك وتضع خدك الأيمن أو جبهتك عليه وتدعو ما تشاء لك من الدعاء (راجع دعاء الملتزم) .

ثم توجه إلى الحجر الأسود وقبله وإلى بئر زمزم لترتوى من مائها . ثم اخرج من الحرم من باب الوداع .

٢ - ستمر بالسيارة على استراحة بحره وهى منتصف الطريق بين مكة وجدة والمسافة تقريبا خمسة وثلاثون كيلومترا .

٣ - استرح قليلا بجدة حتى يسمح لك بالسفر إلى المدينة سواء بالطائرة أو السيارة .

٤ - إذا كنت مسافرا إلى المدينة بالطائرة فالمسافة تقطع فى حوالى الساعة .

٥ - إذا كنت مسافرا بالسيارة فستجد الطريق ممهدا من جدة إلى المدينة وبه استراحات كثيرة يمكن أن يجد فيها المسافر راحته وهى دهبان - تول - القضيمة - رابغ - مستورة - الضايف - المفرق - بدر - الحمراء - الحنيف - أبيار على .

٦ - ستجد فى الطريق من مكة إلى المدينة فقط حراسات للاطلاع على جوازات السفر وبجوار نقط الشرطة مراكز اسعاف .

٧ ـ ننصح للحاج بعدم السفر فى طريق المدينة نهارًا فى الصيف لشدة الحر.

٨ ـ عندما تصل إلى مشارف المدينة المنورة ستسعد برؤية القبة الخضراء فكبر ثلاثا وصل على النبى الكريم حتى تصل إلى المدينة لأنها مدينة مباركة طيبة قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم « المدينة قبة السلام ودار الإيمان وأرض الهجرة ومتبوأ الحلال والحرام .

٩ ـ يستحب أن تغتسل وتتطيب وتلبس أحسن الثياب استعدادا لدخول مسجد الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام .

١٠ ـ ادخل إلى الحرم المدنى من باب السلام متواضعًا مقدما رجلك اليمنى وقل : رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا » اللهم صلِّ على محمد ، وعلى آل محمد واغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك .

١١ ـ تقدم من المحراب وصلِّ ركعتين تحية المسجد المبارك وتستحب الصلاة فى الروضة النبوية الشريفة ما بين القبر والمنبر لقوله عليه الصلاة والسلام «ما بين منبرى وقبرى روضة من رياض الجنة » .

١٢ ـ قف فى أدب وخشوع وتواضع أمام قبر الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وقل بصوت منخفض :ـ .

السلام عليك يا رسول الله .

السلام عليك يا حبيب الله .

السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته .

الصلاة والسلام عليك يا سيدى يا رسول الله .

الصلاة والسلام عليك يا خير خلق الله .

الصلاة والسلام عليك يا من أرسله الله رحمة للعالمين .

الصلاة والسلام عليك يا خاتم الأنبياء والمرسلين .

السلام عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين .

السلام عليك وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين .

السلام عليك وعلى أصحابك أجمعين وعباد الله الصالحين .

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله .

أشهد يا رسول الله أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وعبدت ربك حتى أتاك اليقين فصلى الله عليك كثيرًا أفضل وأكمل وأطيب ما صلى على أحد من الخلق أجمعين .

اللهم أجز عنا نبينا أفضل ما جزيت أحدًا من النبيين والمرسلين . اللهم آته الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محمودًا الذى وعدته ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين والحمد لله رب العالمين ، اللهم لا تجعل هذا آخر العهد بقبر نبينا عليه السلام واكتب لنا العودة إليه ياذا الجلال والإكرام يا أرحم الراحمين .

١٣ – اتجه يمينا قدر ذراع حيث قبر سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه فتقف أمامه وتقول :

السلام عليك يا خليفة رسول الله .

السلام عليك يا أبا بكر يا صديق رسول الله .

السلام عليك يا من قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا أبا بكر أنت عتيق الله من النار» .

السلام عليك يا صاحب رسول الله .

السلام عليك يا ثانى اثنين إذ هما فى الغار .

جزاك الله عن أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الجزاء .

اللهم ارض عنه وارفع درجته وأكرم مقامه وأجزل ثوابه بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين .

١٤ ـ اتجه يمينا قدر ذراع آخر حيث قبر سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقل :

السلام عليك يا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

السلام عليك يا من قال فى حقك رسول الله صلى الله عليه وسلم : «عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة» .

السلام عليك يا أبا الفقراء والضعفاء والأرامل والأيتام جزاك الله عن أمة رسول الله خير الجزاء .

اللهم ارض عنه وارفع درجته وأكرم مقامه وأجزل ثوابه يا أرحم الراحمين .

١٥ ـ اتجه إلى الروضة الشريفة واتجه للمحراب وقل اللهم إنى أسألك أن تشفع لى نبيك ورسولك محمدا صلى الله عليه وسلم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وأن توجب لى المغفرة كما أوجبتها

لمن جاءه فى حياته . اللهم اجعله أول الشافعين وأنجح السائلين وأكرم الأولين والآخرين بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين .

اللهم اشرح صدورنا واستر عيوبنا واغفر ذنوبنا وآمن خوفنا واختم بالصالحات أعمالنا وتقبل زيارتنا وردنا من غربتنا إلى أهلنا وأولادنا سالمين غانمين واجعلنا من عبادك الصالحين من الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون

«ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » .

«ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

«ربنا اغفر لى ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » .

«سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » .

مَزَارَاتُ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ

١ ــ مسجد قباء :

وهو أول مسجد أسس فى الإسلام على يد النبى صلى الله عليه وسلم أثناء إقامته قبل دخول المدينة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تطهر فى بيته ثم أتى مسجد قباء فيصلى فيه صلاة كان له أجر عمرة » .

٢ ــ محلة بنى النجار أخوال الرسول صلى الله عليه وسلم :

وفيها مسجد بنى سليم وقد صلى فيه الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه أول جمعة بعد ارتحاله من قباء وعند هذا المسجد استقبله أولاد النجار بالنشيد المشهور :

« طلع البدر علينا .. من ثنيات الوداع »

٣ ــ مسجد الجمعة :

وهو أول مسجد صلى فيه الرسول عليه الصلاة والسلام أول جمعة بالناس .

٤ ــ مسجد الفتح :

ويقع على الخندق والمساجد التى جهة قبلته تعرف كلها بمساجد الفتح .

٥ ــ مسجد القبلتين :

وهو مسجد به قبلتين إحداها نحو الكعبة والأخرى نحو بيت المقدس وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة عشر شهرا قبل أن يولى

وجهه شطر المسجد الحرام وفى هذا المسجد نزلت الآيات البينات : قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » فتحول الرسول وهو قائم لصلاة العصر نحو البيت الحرام وبنى المسلمون قبلتهم نحو الكعبة المشرفة وظلت القبلة الأولى نحو بيت المقدس كما هى للذكرى .

٦ ـ مسجد الغمامة :

وهو مسجد كبير يقال انه سمى بهذا الاسم لأن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يصلى بالمسلمين والشمس شديدة الحرارة ولم يكن للمسجد سقف فأظله الله سبحانه وتعالى بغمامة شملت جميع المصلين فسمى من أجل ذلك «مسجد الغمامة» .

٧ ـ وهناك عدة مساجد أخرى سميت بأسماء من قاموا ببنائها وكانت هذه المساجد أولى بيوت الله التى عمرت فى صدر الإسلام وبعد الهجرة منها مساجد : عمر بن الخطاب ـ أبو بكر الصديق ـ ـ مسجد السيدة فاطمة رضى الله عنها مسجد بلال ومسجد على بن أبى طالب كرم الله وجهه وليست هناك قبور داخل هذه المساجد لأصحابها إنما سميت بأسمائهم فقط .

٨ ـ قبر الحمزة :

الذى قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الحمزة سيد الشهداء» وهو أمام جبل أحد وهو جبل شمال المدينة المنورة ويوجد بجوار قبر الحمزة رضى الله عنه وأرضاه بئر بها مياه للشرب ولا يوجد مقام فوق قبر الحمزة

الذى استشهد فى واقعة أُحد أمام عينى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والحمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى أعلن إسلامه أمام الكعبة وعلى ملإ من قريش بعد أن شج رأسه عمرو بن هشام (أبو جهل) وهو الذى ناصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعوته وآزره وهاجر معه .... ولذا يجب على كل زائر أن يقف أمام قبره الطاهر فى أدب وخشوع ويتصور حقيقة الجهاد وبطولة الاستشهاد ممثلة فى سيد الشهداء الحمزة رضى الله عنه ....

وجبل أُحد من الجبال المحيطة بالمدينة والذى شهد أكبر معركة بين جيوش رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيوش قريش وقد تحصن من خلفه فرسان المسلمين كأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الموقعة والتى كادت تنتهى بنصر الإسلام والمسلمين ، لولا مخالفة فرسان المسلمين الذين كانوا خلف الجبل ، بأن تركوا أماكنهم قبل الإذن لهم فى تركها ، وانتهز الكفار هذه الفرصة وهاجموا الرسول عليه الصلاة والسلام من خلف الجبل وفى هذه الأثناء قتل الحمزة عم رسول الله شهيدًا ، وقد بغض بعض الناس جبل أُحد على أثر المعركة ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «أحد جبل يحبنا ونحبه» وقال عليه الصلاة والسلام : «إن أُحدًا على باب من أبواب الجنة فإذا جئتموه فكلوا ولو من عضاهه» .

وحول قبر الحمزة رضى الله عنه وأرضاه قبور شهداء موقعة أُحد ويقال إنهم بلغوا سبعين شهيدًا منهم عبد الله بن جحش ومصعب بن عمير .

٩ ـ البقيع :

ويقال بقيع الغرقد وهو مقبرة المدينة المنورة منذ زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والتى زارها عليه الصلاة والسلام ليلة انتقاله للرفيق الأعلى

ودعا لموتاها وقرأ عليهم القرآن . وبهذه المقابر قبور آلاف الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ، وقبر السيدة فاطمة الزهراء ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتى لحقت به بعد انتقاله بستة شهور وقبر سيدنا إبراهيم . الطفل الذى مات فى حجر أبيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفن بالبقيع وبكاه عليه الصلاة والسلام بقوله : إن العين لتدمع - والقلب ليفجع وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون » وبه أيضا قبر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وبه قبرى السيدة رقية والسيدة أم كلثوم رضى الله عنهما بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجات أمير المؤمنين عثمان بن عفان وبه أيضا قبور سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وأبى سعيد الخدرى وسعد بن معاذ رضى الله عنهم أجمعين .

ويستحب الدعاء فى هذا المكان الطاهر الذى حوى بين طياته رفات أخلص وأحب الناس من الصحابة وزوجات الرسول وأولاده إلى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم .

اللهم ارض عنهم أجمعين وارفع درجتهم وأكرم مقامهم وأجزل ثوابهم - اللهم ألحقنا بهم على دين الإسلام وعلى الإيمان واليقين . اللهم واجعل نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الشفيع فينا يوم الدين آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المسجد النبوى بالمدينة المنورة

أول مسجد بنى فى الإسلام مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة وكان طوله مما يلى القبلة إلى مؤخره مائة ذراع ، وفى الجانبين مثل ذلك وجعل أساسه ثلاثة أذرع ، وكان بناؤه بالطوب اللبن والحجارة

وكانت قبلته قبل بيت المقدس في شمال المسجد ، وجعل له ثلاثة أبواب ، بابا فى مؤخره وبابا يقال له : باب الرحمة ، والباب الذى يدخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل عمده الجذوع وسقفه الجريد ، وبنى بيوتا إلى جانبه منها بيت السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها شرقي المسجد وهو مكان الحجرة النبوية الشريفة الآن وفى صحيح البخارى عن ابن عمر قال : كان المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيا باللبن ، وسقفه من الجريد وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر رضى الله عنه شيئا ، وزاد فيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبناه على بنائه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد وأعاد عمده من الخشب ثم غيره عثمان بن عفان رضى الله عنه فزاد فيه زيادة كبيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والجير وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج. وجعل طول المسجد مائة وستين ذراعا ، وعرضه مائة وخمسين ذراعا وجعل أبوابه ستة كما كانت فى زمن سيدنا عمر رضى الله عنه ، ثم زاد فيه الوليد بن عبد الملك فجعل طوله مائتى ذراع وعرضه فى مقدمه مائتين وفى مؤخره مائة وثمانين ، ثم زاد فيه المهدى مائة ذراع من جهة الشام فقط دون الجهات الثلاث وقد تم توسعة المسجد فى عهد الملك سعود بن عبد العزيز مع الاحتفاظ بالمسجد القديم بحالته وبلغت أعمدته ٣٢٧ عمودًا منها ٢٢ داخل الحجرة النبوية الشريفة وله عشرة أبواب . من جهة المشرق . باب جبريل (أو باب البقيع ، وباب النساء وباب العزيزية ومن جهة الشمال باب عثمان والباب المجيدى وباب عمر بن الخطاب ومن غربى المسجد الشريف باب سعود وباب الرحمة وباب الصديق وباب السلام . والمسجد مضاء بالكهرباء « أنوار الفلورسنت » والمراوح الكهربائية .

والمقصورة الشريفة من نحاس أصفر ولها باب على الروضة الشريفة من باب الرحمة وطول المقصورة الشريفة ستة عشر متراً وهى تضم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر الصديق وعمر رضى الله عنهما ، وللمسجد أربعة مآذن الرئيسية ومنارة باب السلام ومنارة عثمان ومنارة عمربن الخطاب

وعلى المقصورة القبة الخضراء الشريفة والمسجد مفروش بالسجاد الفاخر وله قبلة رخامية أمام الروضة الشريفة ووسط المسجد سماوى وبه حصى ويحوم حوله حمام الحمى .

خصائص المدينة المنورة

الأول :

أنشأ أصل مسجدها سيد المرسلين والمهاجرون الأولون والأنصار وهم خيار هذه الأمة لأنهم المتقدمون ، واشتمالها على بقعة من أفضل بقاع الأرض بالإجماع وهو الموضع الذى ضم أعضاء النبى عليه الصلاة والسلام .

الثانى :

تحريم صيد المدينة وشجرها على الحلال والمحرم كمكة لقوله عليه الصلاة والسلام « إن إبراهيم حرم مكة وإنى حرمت المدينة ، مابين لابتيها لا يقطع عضاها ولا يصاد صيدها » رواه مسلم .

الثالث :

يحرم نقل تراب حرم المدينة أو أحجاره إلى الخارج عن حرم المدينة

الرابع :

عن النبى صلى الله عليه وسلم (من صبر على لأواء المدينة وشدتها ، كنت له شاهدا أو شفيعا يوم القيامة) .

الخامس :

إن الصلاة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم تربوا على الصلاة فى فى غيره بألف صلاة . عن أبى هريرة رضى الله عنه (صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة مما سواه إلا المسجد الحرام) .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم (من صلى فى مسجدى أربعين صلاة لا تفوته صلاة كتبت له براءة من النار ونجاة يوم القيامة) رواه أنس بن مالك .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم (من خرج على طهر لا يريد إلا الصلاة فى مسجدى حتى يصلى فيه كان بمنزلة حجة) وأما العمرة فبزيارة مسجد قباء لقوله عليه الصلاة والسلام « صلاة فى مسجد قباء كعمرة) .

السادس :

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول من أشفع له من أمتى أهل المدينة ثم أهل مكة ، ثم أهل الطائف » .

السابع :

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة » .

وفى لفظ « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » وفى لفظ «ما بين حجرتى ومصلاى روضة من رياض الجنة » .

الثامن :

إن الطاعون لايدخل المدينة لقوله عليه الصلاة والسلام (على أنقاب المدينة ملائكة لايدخلها الطاعون ولا الدجال) وفى رواية البخارى . « لايقربها الدجال ولا يدخلها الطاعون إن شاء الله » .

التاسع :

إنه لايريد أحد أهلها بسوء إلا أذابه الله فى النار ذوب الرصاص وذوب الملح فى الماء ، كما ثبت فى الصحيح وأخرجه أحمد فى المسند .

العاشر :

يستحب الصيام فى المدينة والصدقة على سكانها وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « رمضان بالمدينة خير من ألف رمضان فيما سواه من البلدان » .

الحادى عشر :

يستحب الغسل لدخول المدينة .

الثانى عشر :

روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنى حرمت المدينة حراماً ما بين مأزميها إلا يهراق فيها دم ، ولا يحمل فيها سلاح لقتال ، ولا تخبط فيها شجرة إلا لعلف »رواه مسلم .

الثالث عشر :

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : فتحت المدينة بالقرآن وفتحت المدائن بالسيف» .

الرابع عشر :

فضلها الله تعالى وشرفها بنزول الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بها.

الفهرس

صفحة

صفحة

الفصل التاسع

الفصل العاشر

صفحة

الفصل الحادى عشر

الطريق الى بيت الله الحرام

الفصل الثانى عشر

زيارة قبـــر النبى صلى الله عليه وسلم

مؤسسة
دار التحرير للطبع والنشر

(مطابع شركة الاعلانات الشرقية)

مؤسسة
دار التحرير للطبع والنشر